توشيح حلية طالب العلم

تأليف

مختار بن العربي مؤمن الجزائري ثم الشنقيطي

حقوق الطبع محفوظة

بسم الله الرّحمن الرحيم

الحمد لله الذي جعل في كلّ زمانِ فترةٍ من الرّسل ، بقايا من أهل العلم يدعون من ضلّ إلى الهدى ،ويصبرون منهم على الأذى ،يُحْيُــون بكتــاب الله تعالى موتى الجهل ،وصرعى الغفلة والضّلال ،وأسرى الغرور والعجب وســائر أخلاق الأنذال ،ويُبَصِّرون بنور الله أهل العمى ،فكم من قتيل لإبليس قد أحيوه ،وكم من ضال تائه قد هدوه ،فما أحسن أثرَهُم على النّاس ،وما أســوأ أثــر النّاس عليهم ،وأشهد أن لاإله إلاّ الله وحده لاشريك له في ربوبيتــه وألوهيتــه ،ولافي أسمائه وصفاته ،وهو على كلّ شيء قدير ،وعلمه بكلّ شــيء محــيط ،وأشهد أنّ محمّدا رسول الله ﷺ ،رسوله المصطفى ونبيه المجتبى ،وعلــى آلــه وصحبه وسلّم تسليما كثيرا إلى يوم الدين [1].

اللّهمّ ياناصر المستضعفين انصرنا ،وخذ بنواصينا إلى الحقّ ،واجعل لنا في كلّ غاشية من الفتنة ردءا من السّكينة ،وفي كلّ داهمة من البلاء درعا من الصّبر ، وفي كلّ داجيةٍ من الشّكّ علما من اليقين ، وفي كلّ نازلة من الفزع واقيةً من الثّبات ، وفي كلّ ناجمة من الضّلال نورا من الهداية ،ومع كلّ طائف من الهوى رادعا من العقل ، وفي كلّ عارض من الشّبهة لائحا من البرهان ، وفي كلّ ملمّة من العجز باعثا من النّشاط ، وفي كلّ مجهلة من الباطل معالم من الحقّ اليقين ، ومع كلّ فرعون من الطّغاة المستبدين ،موسى من الحماة المقاومين[2] .

---

[1] – بعض هذه الخطبة مقتبسة من خطبة للإمام أحمد رحمه الله تعالى أوردها الشيخ بكر في مدخل كتابه المدخل(5/1) وقد تصرفت فيها بعض التصرف انظرها هناك مع الإحالة على مواضعها .

[2] – من آثار البشير الإبراهيمي .

ثمّ أمّا بعدُ :فهذه حلية مباركة لاكبقية الحُلى ،ولاهي من ذاك الحَلْـيِ الحلال على النّساء، والمحرّمة على الرّجال ،إنّما هي حلية تُجمل البواطن بأفضل الخصال ،وتخليها من أرذل الخلال ، فإذا هي تنعكس على الظّـواهر في أجمـل حال ،فيروح ويغدو صاحبها من خيرة الرّجال، أوصاحبتها من أطهر ربـات الحِجال ، فيالها من حلية لطالب العلم ، جاءت حبات عِقدها منتظمة علـى أحسن حال ،وأجمل منوال،بضعا وستين شعبة كأنّها من شعب الإيمان،أشـفى النّفوس بها من كدمات أمرضت القلوب،وأطاشت العقول ،فكأنّه يعيد علـى أسماعنا قول حسان في ابن عباس رضي الله عنهم:

إذا قال لم يترك مقالا لقـائل بملتقطـات لاتـرى بينها فصلا

كفى وشفى ما في النفوس فلم يدع لذي أرب في القـول جدا ولاهزلا[3]

جاءت في زمن كَثُر فيه الزّغل، وقلّ المربّي والنّاصح ،مع أنّ الخطـب جلـل ،وظهر العوار في طالب العلم، واتّسع الخرق، وبان الخلل ،فجـزاه الله خـيرا ،وبارك فيه، وفي علمه ،ونفعنا وإيّاه به في الدّنيا ويوم لاينفع العبـدَ إلا صـالحُ القول والعمل .

لقد كُلّفت بأمر لست أهلا له من قِبَلِ إخوان لنا في الشّـعبة العلميـة التّابعة لإدارة الدعوة والإرشاد بوزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بدولة قطر لإلقاء دروس في التّربية والأخلاق في الدّورة العلمية الخامسة للمبتدئين ،أنا في حاجة لها قبل غيري ،واختير لي كتاب حلية طالب العلم ، فلبيت طلـب مـن

---

[3] – البيتان لحسان بن ثابت ﷺ شاعر الرسول الكريم ﷺ كما في بهجة المجـالس (58/1) ، والتمهيـد (179/5) ،وقد أوردهما العلامة الشيخ بلخوجة مثنيا بهما على الشيخ حفظه الله تعالى في تقدمته لكتابه المسمى بالمدخل المفصل إلى فقه الإمام أحمد بن حنبل (1/ح).

لايسعنا مخالفتهم ، وهيّج لي ذلك ذكرى عشتها مع بعض الإخوة في بـــلاد شنقيط ،أيّام دراستنا في معهد العلوم العربية والاسلامية التّابع لجامعـــة الإمـــام محمد بن سعود العامرة ،نتدارس هذه الحلية المباركة ،فكان لها الأثر على نفوسنا ،وقد وَجَدَتْ نفوسا ظمأى لهذا النّوع من الدّروس التربويّة ،واختيار هذه المادة في الدورات العلمية ضروريّ ،ضرورة الهواء للحيوان ، وإلاّ صار الطّالب أعشى ،بل أعمى ، ومن خلال تدريسي لهذه المادة وجدت نفسي أمام مكتبة أخلاقية تربوية كبيرة ،قد حُشرت في ورقات معدودة ،فعرفت فعلا قصد الشّيخ حفظه الله تعالى عندقوله:" لكنَّ سياقَتَها تجرى على سبيل ضرب المثال" ،والمثال لايعقله إلاّ العالم،ولذلك أعتذر أنّني لم أتطرق لكلّ لفظة ، وإنّما أردت أن أوشّح نفسي أوّلا بهذه الحلية المباركة ،فجعلت عليها بعض التعليقات من كلام السلف خاصة وبعض الخلف الصالح ، وسميتها " توشيح حلية طالب العلم " وأجزم يقينـــا أن شرحها يحتاج إلى هيئة كبيرة من طلبة العلم المجدّين ،ومكتبة كبيرة من أصناف الكتب المطروقة في هذا الفنّ ومايتصل به ، نسأل الله حسن القصـــد والقبـــول عنده ، وقد طلب منيّ بعض الإخوة الأفاضل المشرفين على الشّعبة العلمية مرارا طبعها فأعدت فيها النظر سريعا ،وأنا على يقين أنّني لست أهلا لهذا العمل ،فلذا نوّهت أنّ فيها من الخلل مالايسعني إدراكه ،لكن حسن ظنّي بمشايخي الكـــرام ،وإخوتي في الإسلام أن يعفوا ويصفحوا والسّلام .

ولابأس أن نقف مع راقمها ولو قليلا لكي لانجحد لصاحب الفضـــل فضله ،ولانكون ممّن بخس الميزان عدله ، فعن أبي سعيد ﷺ قال قال رسول الله ﷺ « من لم يشكر النّاس لم يشكر الله » رواه الترمذي وقال هذا حـــديث

حسن صحيح[4] ،وفي الباب عن أبي هريرة والأشعث بن قيس والنعمان بن بشير ،ورواه أحمد ،وغيرهما.

قال أبو حاتم محمد بن حبان البستي[5] رحمه الله تعالى ت(354):الواجب على المرء أن يشكر النّعمة، ويحمد المعروف على حسب وسعه وطاقته ،إن قدر فبالضّعف ،وإلاّ فبالمثل ،وإلاّ فبالمعرفة بوقوع النّعمة عنده ،مع بذل الجزاء لـــه بالشكر وقوله:جزاك الله خيرا ،فمن قال له ذلك عند العُدم فكأنّه أبلغ في الثّناء)

وقال الشّاعر :

علامة شكر المرء إعلان حمده فمن كتم المعروف منهم فما شكر

وقال آخر :

إذا المرء لم يشكر قليلا أصابـــــه فليس له عند الكثـــير شكور

ومن يشكر المخلوق يشكر لربـــه ومن يكفر لمخلوق فهو كفور

وإني أعتذر سلفا على هذا التعالم ،بين يدي علم شامخ، وطود راسخ .

---

[4] – الجامع الصحيح للترمذي (339/5) رقم (1955) .

[5] –روضة العقلاء ونزهة الفضلاء لأبي حاتم البستي (ص266) .

نبذة مختصرة عن السيرة الذاتية للشيخ بكر بن عبدالله أبي زيد حفظه الله تعالى

نسبه :

- بكر بن عبد الله أبو زيد بن محمد بن عبدالله بن بكر بن عثمان بن يحيى بن غيهب بن محمد، ينتهي نسبه إلى بني زيد الأعلى، وهو زيد بن سويد بن زيد بن سويد بن زيد بن حرام بن سويد بن زيد القضاعي، من قبيلة بني زيد القضاعية المشهورة في حاضرة الوشم، وعالية نجد، وفيها ولد عام1365هـ .

حياته العلمية :

- درس في الكتاب حتى السنة الثانية الابتدائي، ثم انتقل إلى الرياض عام 1375 هـ، وفيه واصل دراسته الابتدائية، ثم المعهد العلمي، ثم كلية الشريعة، حتى تخرج عام 87 هـ/ 88 هـ من كلية الشريعة بالرياض منتسبا، وكان ترتيبه الأول.

وفي عام 1384 هـ انتقل إلى المدينة المنورة فعمل أمينا للمكتبة العامة بالجامعة الإسلامية .وكان بجانب دراسته النّظامية يلازم حلق عدد من المشايخ في الرّياض ومكّة المكرّمة والمدينة المنوّرة.

ففي الرياض أخذ علم الميقات من الشيخ القاضي صالح بن مطلق، وقرأ عليه خمسا وعشرين مقامة من مقامات الحريري، وكان- رحمه الله- يحفظها، وفي الفقه :زاد المستقنع للحجاوي، كتاب البيوع فقط.

وفي مكة قرأ على سماحة شيخه، الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز كتاب الحج، من (المنتقى) للمجد ابن تيمية، في حج عام 1385 هـ بالمسجد الحرام .

واستجاز المدرس بالمسجد الحرام الشيخ: سليمان بن عبد الرحمن بن حمدان، فأجازه إجازة مكتوبة بخطه لجميع كتب السنة، وإجازة في المد النبوي . في المدينة قرأ على سماحة شيخه الشيخ ابن باز في (فتح الباري) و(بلوغ المرام) وعددا من الرسائل في الفقه والتوحيد والحديث في بيته، إذ لازمه نحو سنتين وأجازه.

ولازم سماحة شيخه الشيخ محمد الأمين الشنقيطي نحو عشر سنين ومنذ انتقل إلى المدينة المنورة، حتى توفي الشيخ في حج عام 1393 هـ- رحمه الله تعالى- فقرأ عليه في تفسيره (أضواء البيان)، ورسالته (آداب البحث والمناظرة) وانفرد بأخذ علم النسب عنه، فقرأ عليه (القصد والأمم) لابن عبد البر، وبعض (الإنباه) لابن عبد البر أيضا، وقرأ عليه بعض الرسائل، وله معه مباحثات واستفادات، ولديه نحو عشرين إجازة من علماء الحرمين والرياض والمغرب والشام والهند وإفريقيا وغيرها، وقد جمعها في ثبت مستقل .

وفي عام 1399 هـ / 1400 هـ، درس في المعهد العالي للقضاء منتسبا، فنال شهادة العالمية (الماجستير)، وفي عام 1403 هـ تحصل على شهادة العالمية العالية (الدكتوراه)

حياته العملية :

وفي عام 87 هـ/ 88 هـ لما تخرج من كلية الشريعة اختير للقضاء في مدينة النبي ﷺ صدر أمر ملكي بتعيينه في القضاء في المدينة المنورة، فاستمر في قضائها حتى عام 1400 هـ .

وفي عام 1390 هـ عين مدرسا في المسجد النبوي الشريف،فاستمر حتى عام 1400 ه،وفي عام 1391 هـ صدر أمر ملكي بتعيينه إماما وخطيبا في المسجد النبوي الشريف، فاستمر حتى مطلع عام 1396هـ .
وفي عام 1400 هـ اختير وكيلا عاما لوزارة العدل، فصدر قرار مجلس الوزراء بذلك، واستمر حتى نهاية عام 1412 هـ، وفيه صدر أمر ملكي بتعيينه بالمرتبة الممتازة، عضوا في لجنة الفتوى، وهيئة كبار العلماء .
وفي عام 1405هـ صدر أمر ملكي بتعيينه ممثلا للمملكة في مجمع الفقه الإسلامي الدولي ،المنبثق عن منظمة المؤتمر الإسلامي،واختير رئيسا للمجمع .

وفي عام 1406هـ عين عضوا في المجمع الفقهي برابطة العالم الإسلامي، وكانت له في أثناء ذلك مشاركة في عدد من اللجان والمؤتمرات داخل المملكة وخارجها، ودرس في المعهد العالي للقضاء ,وفي الدراسات العليا في كلية الشريعة بالرياض.

مؤلفاته:

له مشاركة في التأليف في: الحديث والفقه واللغة والمعارف العامة،كثيرة نفع الله بها ، منها أصل هذا التوشيح وهي "حاية طالب العلم ،نسأل الله للشيخ بكر الأجر، وأن يزيده من فضله ، وأن ينفع به المسلمين ، وأن يحفظه ويجعله مباركا أين ما كان.

ملاحظة :

سيكون نصّ الشّيخ بالخطّ العريض ،ومأأضفته من توشيح بالخطّ الدّقيق **تمييزا بينهما فلتكن على بال .**

شرح عنوان الكتاب :

توشيح : من الوشاح وهو شيء ينسج من أديم ،ويرصّع شبه قلادة تلبسه النّساء ،وتوشيحي للحلية هو تنميقها ببعض الزيادات واللطائف التي ليس في غنى عنها طالب العلم .

حلية : قال في القاموس :بالكسر :الخلقة ،والصّورة ،والصّفة،وقال صاحب مختار الصحاح :حلية الرجل صفته .

والمؤلف حفظه الله تعالى لعلّه يقصد ماينبغي أن يتحلّى به طالب العلم من جميل الخصال ،وصالح الأفعال ، وسديد الأقوال ،والله أعلم .

الطالب : من طلب يطلب، حاول وجود الشيء وأخذه، والجمع طلاب وطلبة وطلَبٌ.

العلم :وضده الجهل ،ويأتي في لغة العرب : لليقين ولغلبة الظّنّ ومنه قوله تعالى (ياأيّها الّذين ءامنوا إذا جاءكم المؤمنات مهاجرات فامتحنوهن الله أعلم بإيمانهن فإن علمتموهن .....) الآية[6] .والشاهد فيها أنّ علم الله يقين قطعيّ ،ومأأضيف للخلق في قوله: علمتموهنّ ، فهو يدلّ على غلبة الظنّ أنها

[6]- من الآية (10) من سورة الحجرات .

مؤمنة بعد الامتحان ،وهو أن نستحلفها بالله أنّها هاجرت حبّا لله ورســـوله لا لغير ذلك .

فالأوّل :الله أعلم بإيمانهنّ :علم قطعي .

فإن علمتوهنّ مؤمنات :غلبة ظنّ .

اصطلاحا :العلم هو صفة انكشاف يظهر بها المطلوب على ماهو عليه ،وهـــو أسدّ ماقيل في اصطلاحه)[7].

[7] – إرشاد الفحول للشوكاني (ص4) .وانظر أبجد العلوم للقنوجي (19/1 – ومابعدها)

المقدمة

الحمد لله، وبعد:

فأقيد معالم هذه الحلية المباركة عام 1408 هـ، والمسلمون – ولله الحمد – يعايشون يقظة علمية تتهلّل لها سُبُحَاتُ الوجوه[8]، ولا تزال تُنَشِّطُ – متقدّمةً إلى التّرقي والنّضوج – في أفئدة شباب الأُمَّة، مجدها؛ ودَمَها المُجَدِّدَ لحياتها؛ إذ نرى الكتائب الشبابيّة تَتْرَى ، يتقلَّبون في أَعْطَافِ[9] العلم مُثْقَلِين بِحِمْلِه، يَعُلُّونَ منه ويَنْهَلُونَ[10]، فلديهم من الطُّموح، والجامعيّة، والاطِّلاع المُدْهِش والغَوْص على مكنونات المسائل، ما يَفْرَح به المسلمون نصراً، فسبحان من يُحْيِي ويُميت قلوباً.

لكن؛ لا بُدَّ لهذه النواة المباركة من السَّقْي والتعهُّدِ في مساراتها كافَّةً، نشراً للضمانات التي تَكُفُّ عنها العَثَارَ والتعثر في مثاني الطَّلَبِ والعمل؛ من تموُّجاتٍ فكرية، وعَقَدية، وسلوكية، وطائفية، وحزبية...

" أرايتم الخوارج عندهم من الإيمان بمحبّة كون المسلمين على الحقّ مالايوجد في غيرهم ،لكن هذا قد زاد – أي الطموح- حتّى كفروا المسلمين ،أئمّة المسلمين

1- قيل سبحات الوجه أَضواءه؛ وقيل سُبُحاتُ الوجه محاسنُه لأَنك إِذا رأَيت الحَسَنَ الوجهِ قلت سبحان اللَّه .

9 – أعطاف :جمع عطف ،بمعنى جوانب الشيء .

10 – النَّهَل: الشُّرْب الأَوّل . وقد نَهِل، بالكسر، و أَنْهَلْته أَنا، لأَنَّ الإِبل تسقى في أَوّل الوِرْد فتردُّ إِلى العَطَن، ثم تسقى الثانية وهي العَلَل فتردّ إِلى المرعَى؛ وأَنشد ابن بري شاهداً على نَهِل قول الشاعر: وقد نَهِلَتْ مِنَّا الرِّماحُ وعَلَّتِ قال الأَصمعي: إِذا أَوْرد إِبله الماء فالسقيةُ الأُولى النَّهَل، والثانية العَلَل.لسان العرب مادة نهل (311/14).

وخرجوا عليهم ،فصاروا كما قال النّبيّ ﷺ : « يمرقون من الدّين كما يمرق السّهم من الرّميّة »[11]

وقد جَعَلْتُ طَوْعَ أيديهم رسالة في "التعالم"[12] تكشف المندسِّين بينهم خشية أن يُرْدُوهم[13]، ويُضَيِّعُوا عليهم أَمْرَهم، ويبَعْثِرُوا مسيرتَهم في الطلب، فيستلوهم وهم لاَ يَشْعرون.

واليومَ أخوك يشدُّ عَضُدَكَ، ويأخذ بيدك، فَأَجْعَلُ طَوْعَ بنَانك رسالةً تحمل " الصفة الكاشفة"[14] لِحِلْيَتِكَ، فها أَنَذَا أجعلُ سنَّ القلم على القِرْطاس، فاتْلُ ما أرقُمُ لك أَنْعَم اللهُ بك عَيْناً[15]:

---

[11] – رواه البخاري (3414) ومسلم (1062) من حديث أبي سعيد ﷺ .والتعليق من كلام الشيخ ابن عثيمين في شرح الحلية (ص7–8).

[12] –رسالة نفيسة على غرار أترابها من رسائل الشيخ حفظه الله تعالى مطبوعة مرارا مفردة ،ومضمنة في كتاب باسم الردود.

[13] – أي يهلكوهم ،أويسقطوهم في مهلكة .

[14] – الصفة الكاشفة: هذه من مصطلحات كتب المواد لـ''لسان العرب''. ومنه ما في مادة (ظبأ) من ''القاموس''، قال الزَّبيدى في ''تاج العروس''(1 / 332):'' الظبأة هي: الضبع (العرجاء) صفة كاشفة'' اهـ. وهذا الوجه من الصفة هو الذي يراد به تمييز الموصوف الذي لا يُعلم، ليميز من سائر الأجناس بما يكشفه. انظر حرف الصاد من ''الكليات''(92/3).

قال الموشح عفا الله عنه :وقد كان من اصطلاح أهل المغرب في معرفة تعديل الرجال وجرحهم أن يقول التلميذ للشيخ "اكشف لي عن فلان "كما ورد ذلك في ترجمة بقي بن مخلد في سؤاله ابن معين عن أحمد قال : فقلت – وأنا واقف على قدم :اكشف عن رجل واحد :أحمد بن حنبل ،فنظر إلي كالمتعجب ،فقال لي : ومثلنا ،نحن نكشف عن أحمد ؟ الخ القصة الرائعة في همة ذاك العالم الرحالة ، انظرها في سير أعلام النبلاء لابن الذهبي (292/13).

[15] – أوضحت في حرف الألف من ''معجم المناهي اللفظية'' أن هذا اللفظ: (أنعم الله بك عينا) لا يصحُّ النهى عنه. ومعناه (أقر الله عينك بمن تحبه)وكذا نَعِمَ الله بك عينا ، ونعمك عينا) مختار الصحاح .

لقد توارَدَتْ مُوجِبَاتُ الشرع على أنَّ التحلـــيَّ بمحاســـن الأدب، ومكارم الأخلاق، والهَدْي الحسن، والسَّمْت الصالح: سِمَةُ أهل الإســـلام، وأَنَّ العِلْمَ – وهو أثمن دُرَّةٍ في تاج الشرع المُطَهَّرِ – لا يصلُ إليه إلا المُتَحَلِّي بآدابه، المتخلي عن آفاتِه، ولهذا عناها العلماءُ بالبحث والتنبيه، وأفردوهـــا بالتأليف، إما على وجه العموم لكافَّة العلوم، أو علـــى وجـــه الخصـــوص، كآداب حَمَلة القرآن الكريم[16]، وآداب المُحَدِّث[17]، وآداب المفتي، وآداب القاضي، وآداب المُحْتَسِب، وهكذا...

والشّأن هنا في الآداب العامة لمن يسلُكُ طريق التعلُّم الشرعي.

وقد كان العلماءُ السابقون يُلَقِّنُونَ الطلاب في حِلَـــق العلـــم آدابَ الطلبِ،بل ذاك هدي السلف في أبنائهم حتى قبـــل إلحـــاقهم بحلـــق العلـــم ،يتعاهدونهم بالتربية والتوجيه ،قال سفيان الثـــوري (ت161هـــ) كـــانوا لايخرجون أبناءهم لطلب العلم حتّى يتأدّبوا ويتعبّدوا عشرين سنة [18]، وقال ابن المبارك (ت181هـــ) طلبت الأدب ثلاثين سنة ،وطلبت العلم عشرين ســـنة ،وكانوا يطلبون الأدب قبل العلم[19] ،وأخرج الخطيب[20] بسنده إلى مالك بـــن أنس قال قال محمد بن سيرين (ت110هـــ)كانوا يتعلمون الهدي كما يتعلمون

---

[16] – وأجل التآليف في ذلك كتاب الإمام النووي رحمه الله تعالى الموسوم بـــ" التبيان في آداب حملة القرآن ".

[17] – ومنها كتاب الإمام الخطيب رحمه الله تعالى المنعوت بـــ" الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع "

[18] – حلية الأولياء لأبي نعيم الأصبهاني (316/6) .

[19] – غاية النهاية في طبقات القراء (446/1) .

[20] – الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع (79/1) .

العلم ؛ فانظر إلى نابتة نبتت في الإسلام فأضاعت الأدب تحسبه شيئا لايـــراد في الطلب .

وأدركتُ خَبَرَ آخرِ العِقْد[21] في ذلك في بعض حَلقَـــاتِ العلـــم في المسجد النبويِّ الشريف، إذ كان بعض المدرسين فيه، يُدَرِّسُ طُلاَّبه كتـــاب الزَّرْنُوجي (م سنة 593 هـــ) رحمه الله تعالى، المسمى: " تعليم المُتَعَلمِّ طريقَ التَّعلمُّ"[22].

فعسى أن يَصِلَ أهلُ العلم هذا الحَبْلَ الوثيقَ الهادي لأقومِ طريـــق، فَيُـــدْرَجُ تدريسُ هذه المادَّة في فواتح دروس المساجد، وفي موادِّ الدراسة النظاميـــة، وأرجو أن يكون هذا التقييُد فاتحةَ خَيْرٍ في التنبيهِ على إحياءِ هذه المادة الـــتي تُهَذَّبُ الطالبَ، وتَسْلُكُ به الجادَّة في آداب الطَّلبِ وحَمْل العلم، وأدبه مع نفسِه، ومع مُدَرِّسه، ودرسه، وزميله، وكتابه، وثمرة علمه، وهكذا في مراحل حياته.

فإليك حِلْيَةً تحوي مجموعةَ آدابٍ، نواقضُها مجموعةُ آفاتٍ، فإذا فات أدبٌ منها، اقترف المُفَرِّطُ آفةً من آفاتهِ، فَمُقِلٌّ ومستكثرٌ، وكمـــا أنَّ هـــذه الآدابَ درجاتٌ صاعدةٌ إلى السُّنَّةِ فالوجوبُ؛ فنواقضُها دركاتٌ هابطـــةٌ إلى الكراهةِ فالتحريمُ.

---

[21] – العقد بكسر العين القلادة .

[22] – طبع مرارا، وهو مع إفادته فيه ما يقتضي التنويه، فليعلم، والله أعلم.

ومنها ما يشملُ عُمومَ الخلقِ من كل مكلَّف، ومنها ما يختصُّ به طالبُ العلم، ومنها ما يُدْرَك بضرورة الشرع، ومنها ما يُعرف بالطبع، ويدلُّ عليه عمـــومُ الشَّرع؛ من الحمل على محاســـن الآداب، ومكـــارم الأخـــلاق، ولم أَعْـــنِ الاستيفاءَ، لكنَّ سياقَتَها تجرى على سبيل ضرب المثال، قاصداً الدلالَة علـــى المُهِمَّاتِ، فإذا وَافَقَتْ نفساً صالحة لها؛ تناولت هذا القليلَ فَكَثَّرَتْـــهُ، وهـــذا المُجمَل ففصَّلته، ومن أخذ بها، انْتَفَع ونفع، وهى بدورها مأخوذةٌ مـــن أدب من بارك اللهُ في عِلْمِهِم، وصاروا أئمةً يُهتدَى بهم، جَمَعنا اللهُ بهم في جَنَّتِـــه، آمين[23].

بكْر بن عبد الله أبو زَيْد في 1408/8/5هـــ

---

23 – من هذه الكتب: "الجامع" للخطيب البغدادي رحمه الله تعالى، و"الفقيه والمتفقه" له، و"تعلـــيم المـــتعلم طريـــق التعليم" للزرنوجي، و"آداب الطلب" للشوكاني، و"أخلاق العلماء" للآجـــري، و"آداب المـــتعلمين" لســـحنون، و"الرسالة المفصلة لأحكام المتعلمين" للقابسي، و"تذكرة السامع والمتكلم" لابن جماعة، و"الحث على طلب العلم" للعسكري، و"فضل علم السلف على الخلف" لابن رجب، و"جامع بيان العلم لابن عبد البر، و"العلم فضله وطلبه" للأمين الحاج، و"فضل العلم" لمحمد أرسلان، و"مفتاح دار السعادة" لابن القـــيم، و"شـــرح الإحيـــاء للزبيـــدي، و"جواهر العقدين" للسمهودى، و"آداب العلماء والمتعلمين" للحسين بن منصور – منتخب مـــن الـــذي قبلـــه –، و"قانون التأويل" لابن العربي، و"العزلة" للخطابي، و"من أخلاق العلماء" لمحمد سليمان، و"مناهج العلماء" لفاروق السامرائي، و"التعليم والإرشاد" لبدر الدين الحلبي، و"الذخيرة للقرافي" الجزء الأول، والأول من "المجموع" للنووي، و"تشحذ الهمم إلى العلم" لمحمد بن إبراهيم الشيبانى، و"رسائل الإصلاح" لمحمد الخَضَر حسين، و"آثار محمد البشـــير الإبراهيمي". وغيرها كثير، أجزل الله الأجر للجميع آمين.

الفصل الأول
آداب الطَّالب في نَفْسِهِ[24]

1- العِلْمُ عبادةٌ [25]:

أصلُ الأصولِ في هذه "الحِلْيَةِ" بل ولكل أمرٍ مطلوبٍ عِلْمُكَ بأنَّ العلمَ عبادةٌ، قال بعض العلماء : "العلم صلاةُ السرِّ، وعبادةٌ القلبِ".

بل العلم من أجلّ العبادات وأعظمها قربة لله ،وإذا أراد الله بعبد خيرا علّمه الفقه في الدين ،فعن معاوية ﷺ أنّ النّبيّ ﷺ قال « من يرد الله به خيرا يفقهه في الدّين » [26] ،وعن معاذ بن جبل ﷺ قال :« تعلّموا العلم فإنّ تعلّمه لله خشية ، وطلبه عبادة » [27].

قال الغزالي رحمه الله تعالى : العلم عبادة القلب ،وصلاة السّرّ ، وقربة الباطن ،وكما لاتصحّ الصّلاة التي هي وظيفة الجوارح الظّاهرة إلاّ بتطهير الظاهر عن

---

[24] – انظر الباب الخامس في آداب المتعلم والعالم من الإحياء للغزالي .

[25] – ''فتاوى ابن تيميه''(10 / 11، 12، 14، 15، 49 – 54، 11 / 314 و 20 / 77 – 78).

[26] – رواه البخاري (71) ، ومسلم (1037).

[27] – انظر جامع بيان العلم وفضله (155/1)، وقال ابن القيم في مفتاح السعادة (120/1)وحسبه ان يصل إلى معاذ.

الأحداث والأخباث ،فكذلك لاتصحّ عبادة الباطن وعمارة القلب بـــالعلم إلاّ بعد طهارته عن خبائث الأخلاق وأنجاس الأوصاف)[28] .

وكان الإمام الزاهد داود بن نصير الطّائي[29] رحمه الله تعالى يقول :

(كفى باليقين زهدا ،وكفى بالعلم عبادة ،وكفى بالعبادة شغلا)[30]

وعليه، فإن شَرْطَ العبادة:

1- إخلاص النية لله سبحانه وتعالى، لقولـــه: (وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا اللَّـــهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ) الآية.

وفي الحديث الفَرْدِ المشهور عن أمير المؤمنين عُمَرَ بن الخطَّاب رضـــى اللهُ عنه أَنَّ النبيَّ صلى الله عليه وسلم قال : (إِنَّما الأعمالُ بالنِّيَّـــات...) الحديث.[31]

وانظر رعاك الله إلى أولئك الثلاثة الذين عملوا أعمالا هي مـــن أجـــلِّ الأعمال لكنها لمَّا داخلها سوء القصد انقلبت عذابا وسعيرا نسأل الله حســـن الختام فعن أبي هريرة ﷺ قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إنّ أوّل من تُسعّر بهم النّار يوم القيامة ثلاثة ،... فذكرهم وذكر منهم ... رجلاً تعلّم العلم وعلّمه وقرأ القرآن ، فأُتي به فعرَّفه نعمه فعَرَفها ، قال فما عملت فيها ؟ قال :

---

[28] – الإحياء للغزالي (48/1)،وانظر تذكرة السامع والمتكلم لابن جماعة (67) .

[29] – قال الذهبي :مناقب داود كثيرة كان رأسا في العلم والعمل ،ولم يسمع بمثل جنازته حتى قيل :بات النّاس ثلاث ليال مخافة أن يفوتهم شهوده) السير في ترجمته .

[30] – حلية الأولياء (343/7)،والسير (424/7).

[31] – الحديث رواه الشيخان وأصحاب السنن والمسانيد والمعاجم .واستغنى المؤلف عن تخريجه لشهرته ،ولاتبخل على نفسك بالرجوع إلى شرحه في أول حديث في فتح الباري وفي جامع العلوم والحكم لابن رجب .

تعلّمت العلمَ وعلّمته وقرأت فيك القرآن ، قال : كذبت ، ولكنّك تعلّمت العلم ليقال : عالم ، وقرأت القرآن ليقال : هو قارئ . فقد قيل . ثم أُمر به فيسحب على وجهه حتى أُلقي في النار» [32] ،

قال ابن القيم رحمه الله تعالى[33] : فأما النية فهى رأس الأمر، وعموده ،وأساسه ،وأصله الذي عليه يبنى ،فإنها روح العمل ، وقائده ، وسائقه ،والعمل تابع لها يبنى عليها، يصح بصحتها ويفسد بفسادها ،وبها يستجلب التوفيق، وبعدمها يحصل الخذلان، وبحسبها تتفاوت الدرجات في الدنيا والآخرة)اهـ.

ويكون الإخلاص في طلب العلم بأمور[34] :

أولها :بامتثال أمر الله تعالى القائل : « فاعلم أنه لاإله الله »[35] .

ثانيها: أن تنوي بذلك حفظ الشريعة .

ثالثها : أن تنوي حماية الشريعة ،فحماتها العلماء .

رابعها : أن تنوي بذلك اتباع شريعة محمد ﷺ ولايمكن الاتباع إلا بتحصيل العلم الشرعي .

قال بدر الدين بن جماعة (ت733هـ) (يجب أن يقصد المعلم بتعليم طلبته وتهذيبهم وجه الله تعالى ، بنشر العلم وإحياء الشرع ودوام ظهور الحق وخمول الباطل ، واغتنام ثوابهم وثواب من ينتهي إليه علمه ، وبركة دعائهم له وترحمهم عليه ، ودخوله في سلسلة العلم بين رسول الله ﷺ وبينهم ،

---

[32] – رواه مسلم في صحيحه كتاب الإمارة ،باب من قاتل للرياء والسمعة استحق النار (1514/3؛ح 152).

[33] – إعلام الموقعين (199/2) .وانظر الموافقات للشاطبي ففيه فصولا مهمة (218/2).

[34] – انظرها في شرح كتاب حلية طالب العلم للشيخ ابن عثيمين رحمه الله تعالى .

[35] – من الآية (19) سورة محمد ﷺ .

وعداده في جملة مبلغي وحي الله وأحكامه ، قال رسول الله ﷺ « إنّ الله تعالى وملائكته وأهلَ السّماوات والأرض حتّى النّملة في جُحرها يصلّون على معلّم النّاس الخير »[36].

فإنْ فَقَدَ العلمُ إخلاصَ النِّيَّةِ؛ انتقل من أفضل الطاعات إلى أحَطِّ المخالفات، ولا شئ يُحَطِّمُ العلمَ مثلُ: الرياء؛ رياء شركٍ، أو رياء إخلاصٍ[37]، ومثلُ التسميع؛ بأن يقول مُسَمِّعاً: علمتُ وحفظتُ...

وفيه مالايخفى من حظّ النّفس في حبّ الشّهرة وحسن الذّكر ،وقد أتاك الخبر المرفوع عن النبي ﷺ « من سمَّع سمَّع الله به يوم القيامة » رواه البخاري في الصحيح .

قال القرافي رحمه الله تعالى :(واعلم ياأخي أنّ هذا مقام تشيب منه النّواصي ،ولايعتصم منه بالصّياصي ،فينبغي لك أن توفر العناية عليه ،والجدّ فيه ،مستعينا بالله تعالى ،فمن لم يساعده القدر لم ينفعه الحذر ولقد قطع الكبر من استكبر)[38]

إذا لم يكن من الله عون للفتى فأكثر مايجني عليه اجتهاده .

وعليه؛ فالتزمِ التخلُّصَ من كلّ ما يشوب نيتَكَ في صدق الطّلب؛ كحُبِّ الظُّهور،-فإنه قاصمة الظهور ،قال العارف بالله المرسي :من أراد الظهور فهو عبد الظهور[39] ، واحذر من إرادة **التفوُّقِ على الأقرانِ، وجعله سُلَّماً**

---

[36] – رواه الترمذي وقال حديث غريب رقم (2685) .

[37] –"الذخيرة" للقرافي (1 / 45)، وانظر مبحثاً نفيساً في "تهذيب الآثار" للطَّبَري (2/121-122) طبع في مطابع الصفا بمكة.

[38] – الذخيرة للقرافي (48-49)ط/ دار الغرب.

[39] – فيض القدير للمناوي (5/437) .

لأغراض وأعراضٍ؛ من جاه، أو مال، أو تعظيم، أو سُمْعة، أو طلبِ محمدةٍ، أو صرف وجوه الناس إليك؛ فإنَّ هذه وأمثالَها إذا شابت النيةَ، أفسدتها، وذهبت بركةُ العلم، ولهذا يتعَّين عليك أن تَحْمى نِيَّتَكَ من شَوْبِ الإرادة لغير الله تعالى، بل وتحمى الحِمى.

وقد جاء في الحديث أنّ النّبيّ عليه الصلاة والسلام قال : « من طلب العلم ليماري به السّفهاء ،أوليباهي به العلماء ،أوليصرف وجوه النّاس إليه فهو في النار » رواه ابن ماجة (253) وحسنه الألباني .

وللعُلماءِ في هذا أقوالٌ ومواقفُ بَيَّنْتُ طَرَفاً منها في المبحث الأول من كتاب "التعالم"، ويُزاد عليه نهيُ العلماء عن "الطُّبوليات"، وهى المسائلُ التي يُراد بها الشهرة.

وقد قيل:"زلَّةُ العالم مضروبٌ لها الطَّبْل" [40].

وقد حذر المصطفى ﷺ من زلّة العالم ،روى البيهقي[41]:أن النبي ﷺ قال « اتقوا زلة العالم ،وانتظروا فيئته » .

---

[40] – "الصوارم والأسنة" لأبى مَدْيَنَ الشنقيطي السلفي رحمه الله تعالى.وانظر:"شرح الأحياء"، وعنه "كنوز الأجداد" (ص263).

والمقصود بالطبوليات المسائل التي تبلغ شهرتها الآفاق وهي من الغرائب .

[41] – السنن الكبرى للبيهقي (211/10)،وضعفه الألباني (193/4) .

وعن سفيان – يعني ابن عيينة – **رحمه الله تعالى أنه قال: "كنتُ أُوتيتُ فهمَ القرآن، فَلمَّا قبلتُ الصُّرَّةَ(من أبي جعفر المنصور الخليفة العباسي)، سُلِبْتُهُ**[42].

والمقصود أنّ هدية السّلطان لايجوز للعالم قبولها إذا كان يعرف أنه يريد الوصول بها إلى مبتغاه من الباطل على حساب الحقّ .

فاستَمْسِكْ رَحِمَك اللهُ تعالى بالعُروة الوثقى العاصمةِ من هذه الشوائب؛ بأن تكونَ – مع بذل الجهد في الإخلاص – شديدَ الخوف من نواقِضه، عظيمَ الافتقارِ والالتجاءِ إليه سبحانه.

ويؤثر عن سفيان بن سعيد الثوري رحمه الله تعالى قوله: "ما عالجت شيئاً أشد علي من نيتي"[43].

وعن عمر بنِ ذرٍّ[44] **أنه قال لوالده "يا أبي! مالك إذا وعظت الناس أخذهم البكاء، وإذا وعظهم غيرك لا يبكون؟ فقال: يا بنى ! ليست النائحةُ الثَّكْلى**[45] **مثلَ النائحةِ المُسْتأجَرةِ**[46].

وفقك الله لرشدك آمين.

---

[42] –"تذكرة السامع والمتكلم" (ص19).

[43] – انظر الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع للخطيب البغدادي (317/1) .

[44] – عمر بن ذر بن عبد الله بن زرارة الإمام الزاهد العابد ،أبوذر الهمذاني الكوفي ت (153)وقيل غيرذلك.ترجمته في السير (385/6).

[45] – الثكلى :يقال ثكلت المرأة ولدها ثكلا من باب تعب فقدته .مصباح

[46] –"العقد الفريد" لابن عبد ربه.

واعلم أنّه ليس من الرّياء قصد اشتهار النّفس بالعلم لطلب الاقتداء ،بل هو من أعظم القربات ،فإنّه يسعى في تكثير الطّاعات ،وتقليل المخالفات ،وكذلك قال إبراهيم الخليل عليه السلام « واجعل لي لسان صدق في الآخرين »[47] ،قال العلماء :معناه يقتدي بي من بعدي .

ولهذا المعنى أشار عليه الصلاة والسلام بقوله كما في حديث أبي هريرة ﷺ أنّ رسول الله ﷺ قال « إذا مات الإنسان انقطع عنه عمله إلاّ من ثلاثة: إلاّ من صدقة جاريةّ، أو علم ينتفع به ،أو ولدٍ صالحٍ يدعو له »[48] .

قلت :ويجّلي هذا ويزيّنه قول الحقّ جلّ في علاه في بيان خصلة من خصال عباد الرحمن « واجعلنا للمتّقين إماما »[49].

وعليه فالنية في بداية الطّلب قد تكون مشوبةً ببعض الفلتات ، لكنّها قد تصلح مع قطع أشواط في الطّلب،ومن جميل قول الإمام النووي[50] رحمه الله تعالى :ينبغي أن لايمتنع من تعليم أحد لكونه غير صحيح النية ،فإنّه يرجى له حسن النّية ،وربّما عسر عند كثير من المبتدئين تصحيح النّية ، فالامتناع من تعليمهم يؤدّي إلى تفويت كثير من العلم ،مع أنّه يرجى ببركة العلم تصحيحها إذا أنس بالعلم ،وقد قالوا[51]:طلبنا العلم لغير الله فأبى أن يكون إلاّ لله ؛ ومعناه كانت عاقبته أن صار لله .

---

[47] – من الآية (84) من سورة الشعراء .

[48] – رواه مسلم والترمذي والنسائي .

[49] – من الاية (74) الفرقان .

[50] – المجموع للنووي (30/1) وعنه نقل أنس كرزون في كتابه :آداب طالب العلم (33) .

[51] – من كلام مجاهد بن جبر ،ومعمر بن يزيد الصنعاني رحم الله الجميع .كما في سنن الدارمي (113/1)و السير للذهبي (452/4) (17/7) .

قال الذهبي[52] رحمه الله تعالى :معلّقا على قول معمر ومجاهد رحم الله تعالى الجميع :قلت نعم يطلبه أولا ،والحامل له حبُّ العلم ،وحبُّ إزالة الجهل عنه ،وحبُّ الوظائف ،ونحوُ ذلك ،ولم يكن عَلِمَ وجوبَ الإخلاص فيه، ولاصدق النية ،فإذا علم ،حاسب نفسه ،وخاف من وبال قصده ،فتجيئه النية الصالحة كلها أو بعضها ،وقد يتوب من نيته الفاسدة ويندم ،وعلامة ذلك أنه يُقْصِرُ من الدَّعاوى وحبِّ المناظرة ،ومن قَصْد التَّكثُّر بعلمه، ويزري على نفسه ،فإن تكثر بعلمه ،أوقال : أنا أعلم من فلان فبعدا له).

2- الخَصْلَةُ الجامعةُ لخيري الدنيا والآخرة؛ (محبة الله تعالى ومحبة رسولهﷺ)، وتحقيقُها بتمحُّضِ المتابعةِ وقَفْوِا الأثرِ للمعصوم.

قال الله تعالى: **(قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ)**[53] الآية.

يقول الإمام ابن كثير رحمه الله تعالى[54]:

هذه الآية الكريمة حاكمة على كلّ من ادعى محبة الله وليس هو على الطريقة المحمدية فإنه كاذب في دعواه في نفس الأمر حتى يتبع الشرع المحمدي، والدّين النّبوي في جميع أقواله وأفعاله وأحواله، كما ثبت في الصحيح عن رسول الله ﷺ ، أنه قال « من عمل عملاً ليس عليه أمرنا

---

[52] – سير أعلام النبلاء للذهبي (17/7).

[53] – الآية(31) من سورة آل عمران .

[54] – تفسير القرآن العظيم (477/1).

فهو ردّ »[55] ، ولهذا قال: « قل إن كنتم تحبّون الله فاتّبعوني يحببكم الله » أي يحصل لكم فوق ما طلبتم من محبّتكم إيّاه وهو محبّته إيّاكم، وهو أعظم من الأوّل، كما قال بعض العلماء الحكماء: ليس الشّأن أن تُحِبّ، إنّما الشّأن أن تُحَبَّ.

وقال الحسن البصري وغيره من السّلف: زعم قوم أنّهم يحبّون الله، فابتلاهم الله بهذه الاية،فقال «قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله » .

وبالجُملةِ؛ فهذا أصلُ هذه "الحِلْيةِ"، ويَقَعان منها موقعَ التاجِ من الحُلَّة.

فيا أيُّها الطلابُ! هاأنتم هؤلاء تربَّعْتم للدرسِ، وتعلقتم بأَنْفسَ عِلْقٍ[56] (طَلَبِ العلم)، فأُوصيكم ونفسي بتقوى الله تعالى في السرِّ والعلانية، فهي العُدَّة، وهي مهبطُ الفضائل، ومتزِّلُ المحامِد، وهي مبعثُ القُوَّة، ومِعْراج السُّمُوِّ، والرابطُ الوثيق على القلوب عن الفِتَن، فلا تُفَرِّطُوا.

2- كن على جادة السلف الصالح:

كُنْ سَلَفياً على الجادَّة[57]؛ طريقِ السَّلَف الصالح من الصَّحَابةِ رضى الله عنهم، فَمَنْ بعدهم ممن قَفَا أَثَرَهَمُ في جميع أبواب الدِّين؛ من التوحيدِ، والعباداتِ، ونحوها، مُتَمَيِّزاً بالتزام آثارِ رسول الله ﷺ، وتوظيفِ السُّنن على نفسِك، وترك الجدال، والمراءِ،

---

[55] – رواه البخاري (2697) ومسلم (1718)

[56] – العلق:بالكسر النفيس من كل شيء وجمعه أعلاق ،وقيل المال الكريم . لسان العرب ، مختار الصحاح .

[57] – الجادة : معظم الطريق والجمع جوادّ بالتشديد .

قال وهب بن منبه :دع المراء والجدل ،فإنه لن يعجز أحد رجلين :رجل هو أعلم منك ،فكيف تعادي وتجادل من هو أعلم منك ؟ورجل أنت أعلم منه ،فكيف تعادي وتجادل من أنت أعلم منه ولايطيعك ؟ [58].

و(ترك)الخوض في علم الكلام[59]، وما يَجْلبُ الآثام، ويصــدُّ عــن الشرع.

قال الذهبي رحمه الله تعالى(60).

"وصحَّ عن الدارقطني أنّه قال: ما شيءٌ أبغضَ إليَّ من عِلْم الكلام.

قُلْتُ:لم يدخُل الرّجل أبداً في علم الكلام ولا الجِدال،ولا خاض في ذلك، بل كان سَلَفياً" ا هــ.

قال شيخ الإسلام في الفتوى الحموية : وأكثر من يخاف عليهم الضلال ،هــم المتوسطون من علماء الكلام ، لأن من لم يدخل فيه فهو في عافية منه ،ومــن دخل فيه وعرف غايته فقد عرف بطلانه وفساده ورجع اهــ .

والسلف في اللغة الآباء المتقدمون ،وفي اصطلاح أهل السنة والجماعة:

هم المتبعون آثار رسول الله ﷺ ،قال السمعاني ت(562) في الأنساب :السَّلفي بفتح السين واللام وفي آخرها الفاء ،هذه النسبة إلى السلف ،وانتحال مذاهبهم

---

58 – السير للذهبي (549/4) .

59 – انظر كتاب ذم الكلام لأبي إسماعيل الهروي ،وهو محقق في رسالة علمية في الجامعة الإسلامية ، وانظر "تحذير الأنام من علم الكلام" لعبدالرحمن الشبل ،فإنه نافع بإذن الله تعالى . وانظر تعليق الشيخ ابن عثيمين رحمه الله تعالى على هذا الموضع في شرح الحلية ص17-18) تستفد .

60 –"السير".(457/16)

على ماسُمعت منهم[61]، ولذلك أصبحت السّلفيّة من حيث المصطلح عَلَماً على أصحاب منهج الاقتداء بالسلف الصالح من التابعين وكلّ من تبعهم من الأئمة الأربعة وغيرهم من أئمة الدين .

قال ابن القيم :وكلّ من الصحابة منيب إلى الله ، فيجب اتّباع سبيله ،وأقواله ،واعتقاداتُه من أكبر سبيله[62] .

قال الأوزاعي رحمه الله تعالى :اصبر نفسك على السنة وقف حيث وقف القوم ،وقل بما قالوا ، وكفّ عما كفّوا عنه ،واسلك سبيل سلفك الصالح فإنه يسعك[63] .

وقال الإمام الأعظم أبوحنيفة:عليك بالأثر وطريقة السلف ،وإياك وكل محدثة فإنها بدعة .

وهؤلاء هم (أهلُ السنة والجماعة) المُتَّبعون آثَارَ رسولِ الله ﷺ، وهم كما قال شيخُ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى[64]:

"وأهلُ السنة: نقاوةُ المسلمين، وهم خيرُ النَّاسِ للنّاس" اهـ.

(وقال سفيان :استوصوا بأهل السنة خيرا ،فإنهم غرباء [65]).

فالزمِ السبيلَ، (وَلا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ) [66]الآية.

---

[61] – انظر الموسوعة الميسرة (1082/2).

[62] – إعلام الموقعين (168/1) .

[63] – شرح أصول اعتقاد أهل السنة للالكائي (154/1) .

[64] –"منهاج السنة"(5 / 158)، طبع جامعة الإمام.

[65] – السير (273/7) .

[66] – من الآية (153) من سورة الأنعام .

3- مُلازَمَةُ خَشْيَةِ الله تعالى:

التحلِّي بعمارة الظاهرِ والباطنِ بخشيةِ الله تعالى؛ مُحافظاً على شعائر الإسلام، وإظهارِ السُنَّة ونَشْرها بالعمل بها والدعوة إليها؛ دالاً على اللهِ بعلمك وسَمْتِكَ وعملك، مُتحلِّياً بالرجولةِ، والمساهلةِ، والسَّمْتِ الصالح.

والسَّمت الصالح إرث يتوارثه الطلبة من مشايخهم جيلا بعد جيل قال ابن داسة رحمه الله تعالى :وبلغنا أن أباداود سليمان بن الأشعث السجستاني ت (275) كان من العلماء العاملين حتى أن بعض الأئمة قال :كان أبوداود يُشبَّه بأحمد بن حنبل في هديه ودلِّه وسمته ،وكان أحمد يشبه في ذلك بوكيع ،وكان وكيع يشبه في ذلك بسفيان، وسفيان بمنصور، ومنصور بإبراهيم ،وإبراهيم بعلقمة، وعلقمة بابن مسعود ،وقال علقمة كان ابن مسعود ﷺ يشبّه بالنبي ﷺ في هديه ودَلِّهِ[67].

قال كعب :طلب العلم مع السّمت الحسن والعمل الصالح، جزء من النبوة[68].

وملاكُ ذلك خشيةُ الله تعالى، ولهذَا قال الإمامُ أحمدُ رحمه الله تعالى: "أصلُ العلمِ خشيةُ الله تعالى".

وروى الخطيب بسنده عن الحسن البصري أنّه قال :كان الرّجل يطلب العلم، فلا يلبث أن يُرَى ذلك في تخشعه ،وهديه ،ولسانه، وبصره ،ويده[69].

---

[67] -تذكرة الحفاظ (592/2).

[68] - حلية الأولياء للأصبهاني (376/5) .

[69] - الجامع (258/2) .

وعن عبيد الله بن أبي جعفر رحمه الله تعالى أنه قال :كان يقال :مااستعان عبد على دينه بمثل الخشية من الله.[70]

ولقد علمتَ أنَّ الله نعت أهل العلم بالخشية منه ،ومن ليس كذلك فليس من سِلكهم قال تعالى « إنما يخشى اللهَ من عباده العلمؤُا »[71] ،قال الربيع بن أنس :من لم يخش الله فليس بعالم .

وقال مجاهد :إنما العالم من خشي الله تعالى .

وعن ابن مسعود ﷺ أنه قال :كفى بخشية الله تعالى علما ،وبالاغترار جهلا.[72]

فالزمْ خشيةَ الله في السِّر والعَلَن، فإن خيرَ البريَّةِ من يخشى الله تعالى، وما يخشاه إلاَّ عالِمٌ،..

والفرق بين الخشية والخوف :أنّ الخشية تكون من عِظَم المَخْشِيِّ ، والخوف من ضعف الخائف ،وإن لم يكن المخوف عظيما ، لذلك يخاف الصّبيّ من فتى أكبر منه قليلا،والحاصل أنّ الخشية أعظم من الخوف ،ولكن قد يقال :خاف الله « فلاتخافوهم وخافون »[73] وهنا في مقابلة فعل هؤلاء الذين يخافون من النّاس[74] .

قال عبد الله بن الإمام أحمد لأبيه :هل كان مع معروف الكرخي شيء من العلم ؟فقال لي :يابنيّ ؛كان معه رأس العلم وهو خشية الله تعالى .

---

[70] – سير أعلام النبلاء (9/6) .

[71] من الآية (28) من سورة فاطر .

[72] – انظر تفسير أبي السعود (184/9).

[73] – من الآية (175) آل عمران .

[74] – شرح حلية طالب العلم للشيخ ابن عثيمين رحمه الله تعالى .ص(22) .

إذن فخيرُ البريَّةِ هو العالمُ ، وقد ذكر ذلك بعض المفسرين عند قوله تعالى « إنّ الذين ءامنوا وعملوا الصّالحات أولئك هم خير البرية ...إلى قولـــه ...ذلك لمن خشي ربه »[75]، **ولا يَغِبْ عن بالِك أنَّ العالم لا يُعَدُّ عالماً إلاّ إذا كان عاملاً، ولا يعملُ العالمُ بعلمهِ إلاّ إذا لزمته خشيةُ الله.**

روى مكحول عن عبد الرحمن بن غنم أنه قال حدثني عشرة من أصحاب رسول الله ﷺ قالوا : كنا ندرس العلم في مسجد قباء ،إذ خرج علينا رسول الله ﷺ فقال :« تعلّموا ماشئتم أن تعلموا ،فلن يأجركم الله حتى تعملوا »[76] رواه الدارمي،وقد قيل : العلم بلا عمل جنون ،وعمل بلا علم لايكون .

إذا لم يزد علم الفتى قلبه هدى وسيرته عدلا، وأخلاقه حسنا
فبشِّره أنَّ اللّـــــه أَوْلاَهُ فِتنةً تُغَشِّيهِ حِرمانا وتُوسِعُه حزنا

وأسند الخطيبُ البغداديُّ رحمه اللهُ تعالى بسندٍ فيه لطيفـــةٌ إســـناديةٌ برواية آباءٍ تسعةٍ[77]، فقال[78]: أخبرنا أبو الفَرَج عبد الوهاب بن عبد العزيز

---

[75] – الآية(8) البينة .

[76] – أخرجه الدارمي موقوفا على معاذ بن جبل ﷺ في باب العمل بالعلم بسند صحيح (319/1)،كما ذكره الزين العراقي في تخريج أحاديث الإحياء (64/1).

[77] – الأسود بن يزيد وليس ابن زيد ولعله تصحيف من المطابع ،هكذا نسبه الذهبي في السير (609/18)،وكذا في الإسناد لحديث آخر أورده الحافظ في لسان الميزان (26/2-27) وهو كذلك في تاريخ بغداد للخطيب(11/ 32) ،ابن أكينة وسقط والده الهيثم أي ابن أكينة بن الهيثم ونوه عليه الحافظ في اللسان بذاك وقال : وأكثر اجداده لاذكر لهم لافي تاريخ ولافي أسماء رجال وقد سقط منهم جد ...إلى أن قال:وماذكر الخطيب الهيثم) اهـــ بتصرف . وهذه الرواية مسندة بلفظها في البداية والنهاية للحافظ ابن كثير (150/12)،وقال الشيخ الأيوبي في المناهل السلسة في الأحاديث المسلسة (220) بعد أن أورد الأثر :قال قلت :لم يذكر عبد العزيز في هذا السند الهيثم ،وجعل عبد الله أبا أكينة ،وتقدم آنفا أن عبد العزيز اشتهر بوضع الحديث وأن آباءه مجاهيل)

بن الحارث بن أسد بن اللَّيْث بن سُليمان بن الأسود بن سفيانَ بن زيد بن أُكَينة ابن عبد الله التميمي من حِفْظِهِ؛ قال: سمعت أبي يقول: سمعت أبي يقول: سمعت أبي يقول: سمعت أبي يقول: سمعت أبي يقول: سمعت أبي يقول: سمعت علي بن أبي طالب يقول:

"هَتَفَ العلمُ بالعمل، فإنْ أجابه، وإلا ارْتَحَل" ا هـ.

وهذا اللفظُ بنحوه مرويٌّ عن سفيانَ الثَّوريِّ رحمه الله تعالى[79].

4- دوام المراقبة:

التحلِّي بدوام المُراقَبة لله تعالى في السرِّ والعلن ؛

وتكون في ثلاثة أشياء :مراقبة الله تعالى في طاعته بالعمل ،ومراقبة الله تعالى في معصيته بالتّرك ،ومراقبة الله تعالى في الهمِّ والخواطر لقول النّبيّ ﷺ « اعبد الله كأنَّك تراه، فإن لم تكن تراه فإنّه يراك »[80] كلّ هذا والحال أن تكون ؛ **سائراً إلى ربّك بين الخوف والرجاء؛ فإنّهما للمسلم كالجناحين للطائر** ؛ «أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربّهم الوسيلة أيّهم أقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه »[81] .

اهـ والله أعلم .

[78] –"الجامع" للخطيب، و"ذم من لا يعمل بعلمه"(رقم 15) لابن عساكر. وراجع لإسناده:"لسان الميزان"(26/4 – 27) للحافظ بن حَجَر. وجامع بيان العلم وفضله (10/2) .وانظر كتاب الخطيب اقتضاء العلم العمل ففيه مغنى .

[79] – ذكر ذلك الشاطبي رحمه الله تعالى في الموافقات (68/1) في المقدمة الثامنة .

[80] – الحديث رواه البخاري ومسلم . وأنواع المراقبة ذكرها المحاسبي في رسالة المسترشدين ص(181)

[81] – الآية (57) من سورة الإسراء .

قال ابن كثير[82] رحمه الله تعالى : لاتتمّ العبادة إلاّ بالخوف والرّجاء ،فبالخوف ينكفُّ عن المناهي ،وبالرّجاء يكثر من الطاعات .

وقال تعالى : « يحذرالآخرة ويرجو رحمة ربه »[83] . وليحذر الطالب السالك إلى ربه درب الصالحين أن يفرد ربه في عبادته بنوع منها دون الآخر فقد قال بعض السلف :من عبد الله بالحب فهو زنديق – يعني منافق – ؛ومن عبده بالخوف وحده فهو حروري –يعني من الخوارج ؛ومن عبده بالرجاء وحده فهو مرجئ ؛ ومن عبده بالحب والخوف والرجاء فهو مؤمن موحدّ .

قال الحافظ[84] روى الطّبري عن حفص بن حميد قال قلت لابن المبارك رأيت رجلا قتل رجلا ظلما ،فقلت في نفسي أنا أفضل من هذا ،فقال :أمْنُك على نفسك أشدُّ من ذنبه ؛ قال الطّبري : لأنّه لايدري مايؤول إليه الأمر ،لعلَّ القاتلَ يتوب فتقبل توبته، ولعلَّ الذي أنكر عليه يختم له بخاتمة السّوء .

كيف وأنت يا طالب العلم الذي خوطبت بالكتاب ، وطلب منك حسن الاستقامة والمتاب ،ألم تسمع إلى العبد الصالح سفيان بن عيينة رحمه الله تعالى وهو من هو في الخوف ،والرجاء ، والعلم ،والعمل الصالح ،يقول مافي القرءان ءاية أشدّ علي من قوله تعالى: « لستم على شيء حتّ تقيموا التّوراة والإنجيل ومأأنزل إليكم من ربكم »[85] أم تحسب أن للمخاطبين بهذه الآية

---

[82] – تفسير القرآن العظيم (66/3) .

[83] – الاية (9) من سورة الزمر .

[84] – الفتح لابن حجر (330/11)

[85] – الاية (68) من سورة المائدة .

كل مرّة ولك كل حلوة ،هيهات هيهات !!.."فاستقم كما أمرت ومن تـــاب معك ولاتطغوا "[86].

فأقبل على الله بكُلِّيتك، وَلْيَمتلئ قلبُكَ بمحبَّته ، ولن يمتلئ إلا إذا حقق ثلاثة أشياء ؛

أولها:محبة الله عز وجل في إيثار الطاعة على المعصية، ويقال ذكر النعمة يورث المحبة .

ثانيها :محبة الرسول ﷺ لله عز وجل ،وعلامة ذلك اتباع سنته قال الله جلّ ذكره : « قل إن كنتم تحبون الله فاتَّبِعُونِي يحببكم الله »[87]

ثالثها : محبّة المؤمنين في الله عز وجلّ وعلامة ذلك :كفّ الأذى عنهم ، وجلب المنفعة إليهم ؛ وإن أردت الأسباب الجالبة لمحبّة الله تعالى فإليك عشرة منها :

1- قراءة القرآن بالتّدبّر والتّفهم لمعانيه والتفطن لمراد الله منه .

2- التّقرب إلى الله تعالى بالنّوافل بعد الفرائض ،فإنّها توصل إلى درجة المحبوبية بعد المحبّة .

3- دوام ذكره سبحانه على كلّ حال باللّسان والقلب والعمل والحال ،فنصيب المحبّ من المحبّة على قدر نصيبه من هذا الذّكر .

4- إيثار محابِّه على محابِّك عند غلبات الهوى .

---

[86]- من الآية (112) من سورة هود.

[87] - الآية (31) من سورة آل عمران .

5- مطالعة القلب لأسمائه سبحانه وصفاته ومشاهدتها ،وتقلبه في رياض هذه المعرفة ومباديها ،فمن عرف الله بأسمائه وصفاته وأفعاله :أحبه لامحالة .

6- مشاهدة برّه وإحسانه ونعمه الظاهرة والباطنة .

7- وهو من أعجبها : انكسار القلب بكليته بين يديه .

8- الخلوة به سبحانه وقت النّزول الإلهي – أي وقت التّجلّي الإلهي وهو في الأسحار قبل الفجر- لمناجاته ،وتلاوة كلامه، والوقوف بالقالب والقلب بين يديه ،ثمّ ختم ذلك بالاستغفار والتّوبة .

9- مجالسة المحبّين الصّادقين ،والتقاط أطايب ثمرات كلامهم .

10- مباعدة كلّ سبب يحول بين القلب وبين الله عز وجل ؛ فمن هذه الأسباب وصل المحبّون إلى منازل المحبّة[88] ؛فإذا وصلت إلى هذا المقام فطوبى ثمّ طوبى لك ،فهناك ينادي المنادي من قِبَلِ الحقِّ جل جلاله كما في الصّحيح « إن الله إذا أحبَّ عبدا دعا جبريل فقال : إنِّي أحبُّ فلانا فأحِبَّه ،قال: فيُحِبُّه جبريل ، ثمَّ يُنادي في السماء ، فيقول: إنَّ الله يحبُّ فلانا فأحِبُّوه فيُحِبُّه أهل السماء ، قال : ثمِّ يوضع له القبول في الأرض ، وإذا أبغض عبدا دعا جبريل فيقول: إنِّي أبْغَضُ فلانا فَأَبْغِضْه ، قال: فيبغضه جبريل ،ثمَّ ينادي في أهل السماء إنَّ الله يبغض فلانا فأبغضوه، قال: فيبغضونه، ثمّ توضع له البغضاء في الأرض »[89] ؛

---

[88] – بصائر ذوي التمييز للفيروز آبادي (421/2) .

[89] – الحديث رواه مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

ولسانُك بذكره[90]، والاستبشارِ والفرحِ والسّـــرورِ بأحكامـــهِ ، وَحِكَمِه سبحانه.

5- خَفْضُ الجَناح ونَبْذُ الخُيَلاء والكبرياء:

تَحَلِّ بآداب النفس؛ من العفاف، قال عليه الصلاة والسلام « ومـــن يستعفف يُعِفَّه الله ،ومن يَسْتَغْن يُغْنِهِ الله ،ومن يَتَصبّر يصبره الله »[91] **والحِلْم** ، لكون الحليمَ عظيمَ الشّأن ،رفيع المكان ،محمود الأمر ،مرضيّ الفعـــل، ومـــن نفاسة اسم الحلم وارتفاع قدره ،أنّ الله عزّ وجلّ تسمىّ به ،ثمّ لم يُسمِّ بالحلم في كتابه أحدا إلاّ الخليل والذّبيح ؛ وقديما قال الشاعر :

إذا شئت يوما أن تسود عشيرة فبالحـــلم سُدْ، لابالتّســـرع والشّتم

ولَلَحلمُ خير – فاعلمنّ – مغبّةً من الجهل ،إلاّ أن تَشْرِسَنَّ من الظّلم[92]

يعني أنّ الظّالم المعتدي لايناسب الحلم معه ، فلاينبغي أن يعامل إلاّ بالشّراسة الّتي تردعه .

والحلم ،سجيّة ،أو تجربة ،أوهما :

---

[90] – ولاتبخل على نفسك بالنظر إلى فوائده التي ذكرها ابن القيم رحمه الله تعالى في كتابه الوابـــل الصـــيب (57-133)

[91] – رواه البخاري (1469) .

[92] – روضة العقلاء ونزهة الفضلاء (208-209).

والحلم من الخصال التي يحبّها الحليم جلّ جلاله ،روى مسلم في صحيحه من حديث الأشجّ[93] – أشجّ وفد عبد القيس – أنّ النَّبِيَّ ﷺ قال له « إنّ فيك لخصلتين يحبُّهما الله الحلم والأناة » ، **والصبر، والتواضُعِ للحقِّ، وسكون الطائر؛ من الوَقَارَ والرَّزانةِ**،« واصبر على ماأصابك إن ذلك من عزم الأمور، ولاتُصَعِّر خدّك للنّاس ،ولاتمش في الأرض مرحا إنّ الله لايحبّ كلّ مختال فخور ،واقصد في مشيك واغضض من صوتك إنّ أنكر الأصوات لصوت الحمير » [94] ، **وخَفْضِ الجناح**؛« واخفض جناحك للمؤمنين »[95] « أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين »[96] ؛ **مُتَحَمَّلاً ذُلَّ التعلُّم لعزَّة العلم** ،كما قال حبر الأمة وبحرها أبو العبّاس عبدالله ابن عباس رضي الله عنهما : ذللت طالبا فعززت مطلوبا [97].

وقال الشافعي رحمه الله تعالى :لايطلب هذا العلم من يطلبه بالتّملل – أي بالتّبرم – وتقلّب العزم ،وغنى النّفس فيفلح ،ولكن من طلبه بذلّة النّفس ،وضيق العيش ،وخدمة العلم أفلح [98].

---

[93] – واسم الأشج المنذر بن عائذ بالذال المعجمة العصري بفتح العين والصاد المهملتين قال النووي هذا هو الصحيح المشهور (شرح مسلم (189/1) .وحديث وفد عبد القيس في الصحيحين وغيرهما .

[94] –الآيات(17-19) من سورة لقمان .

[95] – من الآية (88) من سورة الحجر .

[96]–من الآية (54) من سورة المائدة .

[97] – انظر الأثر في كشف الخفاء للعجلوني (1/ 50).

[98] – تدريب الراوي للسيوطي (345) وانظر صفحات من صبر العلماء لأبي غدة (152)

قال النّووي[99] رحمه الله تعالى :وقد قالوا : من لم يصبر على ذلّ التّعليم بقي عمره في عماية الجهالة ،ومن صبر عليه آل أمره إلى عزّ الآخرة والدنيا :

من لم يذق طعم المذلة ساعة قطع الزمان بأسره مذلولا

وقال آخر :

ومن يصطبر للعلم يظفر بنيله ومن يخطب الحسناء يصبر على البذل

ومن لم يذلّ النّفس في طلب العلا يسيرا يعش دهرا طويلا أخا ذلّ

ولقد ضرب العلماء السّالفون المثل العليا في طلبهم للعلم ،وتحمل المشاقّ في تحصيله ،حتى غدت سيرهم، كأنّها ضرب من الخيال، أو مسّ من الخبال ،فهذا يشدّ رحله من أجل حديث ،وآخر للاستفسار عن مسألة ،وآخر لتصحيح كتب ، ورابع للسّماع من شيخ في بلده فإذا به يجده دون ذلك بمسافات ، فيأنف إلا أن يستكمل الرحلة حيث قصد ،وخامس يشرب بوله خمس مرات من شدة العطش ،وسادس يبول الدم مرتين في طلب الحديث ،وسابع يؤسر عند أعراب لسرح الإبل ،وثامن يطوف الدنيا على قدميه مرتين :مرة امتدت الرحلة الأولى أربعة عشر عاما ،والثانية عشرين عاما ،وهكذا في سلسلة ظاهرها العذاب وباطنها الرحمة في شهد السنة والكتاب[100] .

ذليلاً للحقِّ ؛مستشعرا قوله تعالى «فلاوربّك لايؤمنون حتّى يحكّموك فيما شجر بينهم ثمّ لايجدوا في أنفسهم حرجا ممّا قضيت ويسلّموا تسليما »[101] ،وذاك دأب الصّالحين قبلك إذا عرفوا الحقّ رجعوا إليه ،وسارعوا إلى التمسك

---

[99] – انظر التبيان في آداب حملة القرآن للنووي (47) .وانظر أدب الدنيا والدين للماوردي (51) .

[100] – تصفح سير هؤلاء العظماء في سير أعلام النبلاء وأمثاله من الأسفار التي حوت أخبارهم ،وخلدت آثارهم .

[101] – الآية (65) من سورة النساء .

بأهدابه ،والسير في ظلّ ركابه ،وإذا كشفوا الباطل في نفوسهم تنكّروا له وعدلوا عنه ، وقد وقع لهم في ذلك قصص ؛فهذا الحسن بن زياد استفتي في مسألة فأخطأ ، فلم يعرف الذي أفتاه ،فاستأجر مناديا ينادي: إن الحسن بن زياد استفتي يوم كذا وكذا في مسألة فأخطأ ، فمن كان أفتاه الحسن بن زياد بشيء فليرجع إليه ، قال :فمكث أياما لايفتي حتى وجد صاحب الفتوى ،فأعلمه أنه قد أخطأ وأن الصواب كذا وكذا[102] ،و كذلك ماوقع لعمرو بن عبيد أنّه قال في مسألة رأيا فأخطأ فيه ،فناقشه واصل بن عطاء فتبيّن لعمرو بن عبيد خطأه في تلك المسألة ،فرجع إلى الحقّ قائلا :مابيني وبين الحقّ من عداوة.

وحكى الحافظ بن حجر رحمه الله تعالى[103] في ترجمة عبيد الله بن الحسن العنبري المتوفّى سنة(168):قال عبد الرحمن بن مهدي تلميذه :كنّا في جنازة فسألته عن مسألة فغلط فيها ،فقلت له :أصلحك الله ،القول فيها كذا وكذا ،فأطرق ساعة ثمّ رفع إليّ رأسه فقال : إذاً أرجع وأنا صاغر ،لأن أكون ذَنَبًا في الحقّ أحبّ إليّ من أكون رأسا في الباطل.

قال ابن الجوزي[104] : ومن ذلك أنّ أحدهم يتبيّن له الصّواب مع خصمه ، ولا يرجع ويضيق صدره ،كيف ظهر الحقّ مع خصمه ؟ وربّما اجتهد في ردّه، مع علمه أنّه الحقّ، وهذا من أقبح القبيح ،لأنّ المناظرة إنّما وضعت لبيان الحقّ، وقد قال الشافعي رحمه الله ما ناظرت أحدا فأنكر الحجّة إلاّ سقط

---

[102] – الفقيه والمتفقه للخطيب البغدادي (200/2) .

[103] – تهذيب التهذيب للحافظ ابن حجر (7/7) .

[104] – تلبيس إبليس لابن الجوزي (147/1) .

من عيني ،ولا قبلها إلاّ هبته ،وما ناظرت أحدا فباليت مع من كانت الحجة إن كانت معه صرت إليه.

قال أبو العتاهية[105] :

إذا اتضح الصواب فلاتدعـــه فإنّـــك كلما ذقت الصوابا

وجدت له على اللهوات بردا كبرد الماء حين صفا، وطابا

وعليه، فاحْذَرْ نواقض هذه الآدابِ، فإنَّها مع الإثم تُقيم على نفسِك شاهداً على أنَّ في العقل عِلَّةً، وعلى حرمانٍ من العلم والعملِ بـــه، فإيـــاك والخُيَلاءَ[106]، فإنَّه نِفاقٌ وكبرياءٌ، وقد بَلَغَ من شدَّة التوقِّي منه عند السَّـــلَف مَبْلَغاً: ومن دقيقهِ ما أسنده الذهبيُّ في ترجمة عَمْرو بن الأسود العَنْســـي[107] المُتوفّى في خلافة عبد الملك بن مروان رحمه الله تعالى: أنه كان إذا خرج من المسجد قَبَضَ بيمينهِ على شماله، فَسُئل عن ذلك؟ فقال: مخافة أن تُنافق يدي.

قلتُ: يُمْسكُها خوفاً من أن يَخْطُرَ[108] بيدهِ في مشيتهِ، فإنَّ ذلك من الخُيلاَء[109] اهـــ.

وهذا العارِضُ عرض للعَنْسيِّ رحمه الله تعالى.

---

[105] –أخلاق العلماء ص (37)

[106] – الخيلاء :الكبر والإعجاب .مصباح

[107] – وكان من سادات التابعين دينا وورعا .

[108] – خَطَرَ في مشيته يَخْطِرُ خطيرا وخطَرانا رفع يديه ووضعهما ،وخَطَران الرجل :اهتزازه في المشي وتبختره. (اللسان)

[109] –" السير"(4 / 80).

واحْذَر داءَ الجبابرةِ: (الكِبْرَ)، فإن الكِبْرَ والحرصَ والحسَدَ أَوَّلُ ذنب عُصِيَ الله به[110]، وقد فسره النبي ﷺ بأجمع تفسير وأبينه فقال « الكبر بطر الحق ،وغمط الناس »[111] **فتطاولُك على مُعَلِّمِكَ كبرياءٌ؛**

لكون المتطاول قليلَ الأدب،وربما رأى نفسه لتطاوله أفضل ممن يجلس بين يديه، فيحرم بذلك الفتح من ربّ العالمين .ويكون التّطاول باللّسان ،ويكون أيضا بالانفعال ،وغير ذلك من أخلاق الأسافل والأنذال.

يقول الإمام أبوبكر الآجري[112] رحمه الله تعالى :إذا أحبّ طالب العلم مجالسة العلماء جالسهم بأدب ،وتواضع في نفسه ،وخفض صوته عن صوتهم ،وسألهم بخضوع ،ويكون أكثر سؤاله عن علم ماتعبده الله به ،ويخبرهم أنه فقير إلى علم مايسأل عنه ، فإذا استفاد منهم علما أعلمهم أني قد أفدت خيرا كثيرا ،ثم شكرهم على ذلك ،وإن غضبوا عليه لم يغضب عليهم ،ونظر إلى السبب الذي من أجله غضبوا عليه ،فرجع عنه واعتذر إليهم ،ولايضجرهم في السؤال ، رفيق في جميع أموره ،لايناظرهم مناظرة من يريهم أني أعلم منكم ،وإنما همته البحث لطلب الفائدة منهم مع حسن التلطّف لهم .

واستنكافُك عَمَّن يفيدُك ممَّن هو دونَك ، سواء في السن أو القدر أو العلم ،**كبرياءٌ**،وسلوك مخالف لسنن الأولين من الصحابة الأصفياء ،فمن بعدهم من طلبة العلم النجباء ، ففي الصحيحين عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : «

---

110 –"فهرس الفتاوى"(193/36).

111 –رواه مسلم (91) من حديث ابن مسعود ﷺ .

112 – أخلاق العلماء للآجري (33) .

كنت أقرئ رجالا من المهاجرين منهم عبد الرحمن بن عوف » ؛وقال ابن الجوزي في كشف المشكل[113] :فيه تنبيه على أخذ العلم من أهله وإن صغرت أسنانهم ،أو قلّت أقدارهم ،وقد كان حكيم بن حزام يقرأ على معاذ بن جبل ،فقيل له :تقرأ على هذا الغلام الخزرجي ؟ فقال :إنما أهلكنا التكبر . وقد بوّب العلماء في ذلك أبوابا في رواية الأكابر عن الأصاغر، والفضلاء عن المفضولين قال السيوطي في ألفية الأثر :

قد روى الكبار عن صغار في السن أو في العلم والمقدار
أو فيهما ،(وعلم ذا أفادا أن لايظن قلبه الإسنادا)
ومنه أخذ الصحب عن أتباع (وتابع عن تابع الأتباع
كالبحر عن كعب وكالزهري عن مالك ويحي الأنصاري)

بل أرفع من ذلك درجة رواية النبي ﷺ عن تميم الداري خبر الجساسة كما في صحيح مسلم) .

وقد قيل لايكون الرّجل محدثا ، حتّى يأخذ عمن فوقه ،ومثله، ودونه ،قال لقمان الحكيم لابنه :اصبر نفسك لمن هو فوقك في العلم ،ولمن هو دونك ،فإنما يلحق بالعلماء من صبر لهم ولازمهم ،واقتبس من علمهم في رفق[114] .

وتقصيرُك عن العَمَلَ بالعلم حَمَأَةُ كِبْرٍ، وعنوانُ حرمانٍ.

العلمُ حَرْبٌ للفتى المُتعالي كالسَّيل حَرْبٌ للمَكان العالي[115]

---

[113] – انظر الآداب الشرعية لابن مفلح (215/2) .

[114] – جامع بيان العلم وفضله لابن عبدالبر (107/1) .

[115] – الشطر الثاني مقتبس من بيت لأبي تمام :لاتنكري عطل الكريم من الغنى فالسيل حرب للمكان العالي .

أي أنّ الفتى المتعالي عن العلم لايدركه ،لأنّه حرب له ،كما أنّ المكان العالي كالرّبوة لايدرك رأسها السّيل ،لأنّه ينفضّ عنها ذات اليمين وذات الشمال[116] .

فالْزَم – رحمك اللهُ – اللُّصوقَ إلى الأرضِ، والإزراءَ على نفسك، وهَضْمَها، ومُرَاغَمَتَها عند الاستشرافِ لكبرياءٍ أو غطرسةٍ أو حُبِّ ظهورٍ أو عُجْبٍ... ونحو ذلك من آفاتِ العلم القاتِلة له، المُذْهِبَة لهيبتِه، المُطْفِئَةِ لنورِه، وكلَّما ازددتَ علماً أو رفعةً في ولايةٍ، فالْزَم ذلك؛ تُحْرِزْ سعادةً عظمى، ومقاماً يَغْبِطُكَ عليه الناسُ.

وعن عبد الله ابن الإمام الحُجَّة الراوية في الكُتبُ السِّتَّةِ بكر بن عبد الله المُزَني رحمهما الله تعالى؛ قال: "سمعتُ إنساناً يُحَدِّثُ عن أبي، أنه كان واقفاً بعَرَفَة، فَرَقَّ، فقال: لولا أَنِّي فيهم، لقلتُ: قد غُفِرَ لهم".

خَرَّجَه الذهبي[117]،ثم قال:"قلت:كذلك ينبغي للعَبْدِ أن يُزْري على نفسِه ويَهْضِمَهَا" ا هـ.

6- القناعةُ والزَّهادةُ:

---

[116] – شرح ابن عثيمين للحلية ص(28)

[117] – سير أعلام النبلاء"(4 / 534).وانظر كلاماً نفيساً لشيخ الإسلام بن تيميه رحمه الله تعالى ''مجموع الفتاوى''(160/14).

التَّحَلِّي بالقناعةِ والزهادةِ، وحقيقةُ الزهـدِ [2]: "الزهـدُ بـالحرام، والابتعادُ عن حِمَاه؛ بالكَفِّ عن المُشْتَبَهات وعن التطلُّع إلى مـا في أيـدي الناس".

وقد عرف آخرون الزهد منهم ماذكره سفيان بن عيينة قيـل للإمـام الزهري : ماالزهد ؟ قال من لم يغلب الحرامُ صبرَه ،و لم يمنع الحلالُ شـكره ؛ ومعناه الصبر على الحرام ،والشكر على الحلال .

وقال ابن المبارك رحمه الله تعالى : الزّاهد هو الّذي إن أصاب الـدّنيا لم يفرح ،وإن فاتته لم يحزن [119].

وقال الشاطبي رحمه الله تعالى :والزهد حقيقة إنما هو في الحـلال أمـا الحرام فالزهد فيه لازم من أمر الإسلام ،عامّ في أهل الإيمان [120].

ويُؤْثَرُ عن الإمام الشافعِّي رحمه الله تعالى[121]: "لَوْ أَوْصَى إنسانٌ لأَعْقَل الناس؛ صُرِفَ إلى الزُّهَّاد".

قال ابن جماعة [122]:فليت شعري من أحقّ من العلماء بزيـادة العقـل وكماله .

وعن محمد بن الحَسَن الشَّيْباني رحمه الله تعالى لَّما قيل لـه: أَلاَ تُصَنِّفُ كتاباً في الزُّهْدِ؟ قال: "قد صَنَّفْتُ كتاباً في البيُوعِ"[123].

118– انظر شعب الإيمان للبيهقي (131/4) .

119 – ترتيب المدارك للقاضي عياض (40/3) .

120 – الموافقات للشاطبي (122/1) .

121 – سير أعلام النبلاء (98/10).

122 – تذكرة السامع والمتكلم (18).

يعنى: "الزاهدَ من يتحرَّزُ عن الشُّبهُاتِ، والمكروهاتِ؛ في التجاراتِ، وكذلك في سائر المعاملاتِ والحِرَفِ" ا هـ.

لأن من تعرف على البيوع وأحكامها وتحرز عن الحرام واستحل الحلال فإن هذا هو الزاهد[124].

وطالب العلم إذا لم يكن قنوعا بمارزقه الله ووهبه ،تطلع إلى دنيا غيره ،فجانف الصواب وفتح على نفسه باب العتاب ،ونسي ماورد في الكتاب« فلنحيينه حياة طيبة [125]» قال محمد بن كعب القرظي رحمه الله تعالى :الحياة الطيبة القناعة [126].

وقال ابن القيم[127] رحمه الله تعالى مقررا هذا ومبينا له : إن كل من آثر الدنيا من أهل العلم واستحبها، فلا بد أن يقول على الله غير الحق فى فتواه، وحكمه فى خبره ،وإلزامه ،لأن أحكام الربّ سبحانه كثيرا ما تأتي على خلاف أغراض النّاس، ولا سيما أهل الرياسة، والذين يتبعون الشبهات، فإنّهم لا تتمّ لهم أغراضهم إلا بمخالفة الحقّ ودفعه كثيرا،وفى هؤلاء وأشباههم قال تعالى «فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات » [128].

وعليه؛ فَلْيَكُن معتدِلاً في معاشِه بما لا يُشينه، بحيثُ يصونُ نفسَه وَمَن يعولُ، ولا يَرِدُ مواطنَ الذِّلَّةِ والهُوْنِ.

---

[123] – تعليم المتعلم للزنوجي (ص28).

[124] – شرح الحلية للشيخ ابن عثيمين (ص30) .

[125] من الآية (97) من سورة النحل.

[126] – انظر روضة العقلاء (153) .

[127] – الفوائد لابن القيم ؛ نقلا عن كتاب (كيف تتحمس لطلب العلم الشرعي ص(88) .

[128] – من الآية (59) من سورة مريم .

وقد كان شيخُنا محمد الأمين الشَّنقيطيُّ[129] المتوفى في 1393/12/17هـ رحمه الله تعالى مُتَقَلِّلاً من الدنيا، وقد شاهدتُه لا يعرفُ فئاتِ العُملةِ الورقيةِ، وقد شافَهَني بقولهِ:

"لقد جئتُ من البلاد – شنقيط – ومعي كَنْزٌ قلَّ أن يُوْجَدَ عند أحد، وهو (القناعةُ)، ولو أردتُ المناصبَ؛ لعرفتُ الطريقَ إليها، ولكني لا أُؤثر الدنيا على الآخرةِ، ولا أبذلُ العلمَ لنيلِ المآربِ الدنيويةِ".

فرحمه اللهُ تعالى رحمةً واسعةً آمين.

قال الإمام محمد بن إبراهيم ابن الوزير[130] رحمه الله تعالى المتوفى سنة (840):

لك الحمد لم تشغل بفقر يشُقُّ بي ... وفرّغتني للعلم والحمدِ والثنا

وأغنيت قلبي بالقناعة والرِّضا ... فلا أنا مهموم ولاأنا سائل

ولابغى يطغي فؤادي ويلهيني ... وأصلحت لي قلبي ومازلت تهديني

وبالمال قدرا كافيا ليس يلهيني ... ولاأنا مشغول بما ليس يعنيني

7- التَّحَلِّي بِرَوْنَقِ العلم:

---

[129] – الشيخ محمد الأمين الشنقيطي صاحب (أضواء البيان في إيضاح القرءان بالقرءان)وكتب أخرى نفيسة انظر ترجمته المباركة (في تفسيره أضواء البيان الذي أتمه تلميذه الموفق عطية محمد سالم رحمهم الله تعالى فقد جعل لشيخه ترجمة في آخر التفسير).ورأيت ترجمة له مختصرة للشيخ عبد الرحمن السديس في كتاب لاأذكر عنوانه.

[130] – انظر صفحات من صبر العلماء لأبي غدة (162) .

التحلِّي بـــ (رونق العلم) حُسْن السَّمْت، والهَدْي الصالح، مـــن دَوَامِ السكينة، والوقارِ، والخُشوع، والتواضُعِ، ولزوم المَحَجَّةِ، بعمـــارة الظـــاهر والباطن، والتخلِّي عن نواقِضِهَا.

يقول ابن القيم رحمه الله تعالى :روى الترمذي وقال هذا حديث غريب عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ « خصلتان لا يجتمعان في منافق حسن سمت وفقه في الدين » ،هذه شهادة بأن من اجتمع فيه حسن السَّمت ،والفقـــه في الدين فهومؤمن ،وأحرى بهذا الحديث أن يكون حقّا وإن كان إســـناده فيـــه جهالة، فإن حسن السمت والفقه في الدين من أخصّ علامات الإيمان ،ولن يجمعهما الله في منافق فإنّ النّفاق ينافيهما وينافيانه[131].

وفي رواية أبي داود من حديث ابن عباس ﷺ : « الاقتصاد ،وحسن الســـمت ،والهدي الصالح ،جزء من بضع وعشرين جزءا من النبوة ».

وعن ابن سيرينَ رحمه الله تعالى قال:

"كانوا يتعلَّمون الهَدْيَ كما يتعلَّمون العلم"[132].

وعن رجاء بن حَيْوةَ رحمه الله تعالى أنه قال لرجلٍ:

"حَدِّثْنا، ولا تُحَدِّثْنَا عن مُتماوتٍ ولا طَعَّانٍ".

رواهما الخطيب في "الجامع"، وقال [133]:

---

[131] – مفتاح دارالسعادة (75/1). دار العلمية .

[132] – الجامع (79/1)

[133] –"الجامع"(156/1).

"يجبُ على طالبِ الحديثِ أن يتجنّب: اللعبَ، والعبثَ، والتبذُّلَ في المجالس، بالسُّخْفِ، والضحكِ، والقهقهةِ، وكثرة التنادُرِ، وإدمان المُزَاحِ والإكثار منه، فإنما يُسْتجاز من المُزَاح بيسيرِهِ ونادرِه وطريفِة، والذي لا يُخرج عن حَدّ الأدب وطريقةِ العلم، فأمَّا مُتَّصِلهُ وفاحشهُ وسخيفهُ وما أَوْغَر منه الصُّدورَ وجَلَبَ الشَّرَّ، فإنه مذمومٌ، وكثرةُ المزاحِ والضَّحكِ يَضَعُ من القَدْرِ، ويزُيلُ المروءَة" اهـ[134].

ولقد سئل ابن عمر رضي الله عنهما : هل كان أصحاب رسول الله ﷺ يضحكون ؟ قال : نعم ، والإيمان في قلوبهم مثل الجبل[135] .

وقال بلال بن سعد : أدركتهم يَشْتَدُّون بين الأَعْرَاض ، ويضحك بعضهم إلى بعض ، فإذا كان الليل كانوا رهباناً [136] .

ومن الطرائف في ذلك ماجاء عن نعيمان رضي الله عنه وكان مزّاحا فعن أمنا أم سلمة أم المؤمنين رضي الله عنها قالت : خرج أبو بكر في تجارة إلى بصرى قبل موت النبي ﷺ بعام ومعه نُعيمان وسويبط بن حرملة ، وكانا شهدا بدراً ، وكان نُعيمان على الزاد ، وكان سويبط رجلاً مزاحاً ، فقال لنعيمان : أطعمني ، قال : حتى يجيء أبو بكر . قال : فلأغيظنك . قال : فمروا بقوم ، فقال لهم سويبط : تشترون مني عبداً لي ؟ قالوا : نعم . قال : إنه عبد له كلام ، وهو قائل لكم : (إني حر) فإن كنتم إذا قال لكم هذه المقالة تركتموه فلا تفسدوا

---

[134] – وانظر كلاما للإمام النووي في الأذكار (468)، ومجلة البيان العدد(149)في المزاح بين المشروع والممنوع .ورسائل الإصلاح للشيخ محمد الخضر حسين(212/1).

[135] – شرح السنة للبغوي (183/13) .

[136] – عيون الأخبار لابن قتيبة (326/1).

عليّ عبدي . قالوا : لا ، بل نشتريه منك . فاشتروه منه بعشر قلائص ، ثم أتوه فوضعوا في عنقه عمامة أو حبلاً ! فقال نُعيمان : إن هذا يستهزئ بكم وإني حر لست بعبد ! ! ! فقالوا : قد أخبرنا خبرك . فانطلقوا به ، فجاء أبو بكر . فأخبروه بذلك ، قال : فاتبع القوم ورد عليهم القلائص وأخذ نعيمان . قال : فلما قدموا على النبي ﷺ وأخبروه ، قال : فضحك النبي ﷺ وأصحابه منه حَوْلاً !.[137]

وقال أبوالدرداء: إني أستجِّم ببعض الباطل؛ليكون أنشط لي في الحقّ[138]،(والباطل الذي يعنيه أبوالدرداء ليس الذي هو ضد الحق ولكن يعني اللهو واللعب المباح)

ويقول ابن تيمية معلقاً على هذا القول : فأما من استعان بالمباح الجميل على الحق فهذا من الأعمال الصالحة[139] .

ولذلك ليس كل مزاح مستساغا،ولكن الأحسن فيه ماكان على قواعد الأدب والأخلاق كما قيل لسفيان بن عيينة : المزاح هجنة ؟ قال : بل سنة ، ولكن الشأن فيمن يحسنه ويضعه مواضعه.

قال الشاعر[140] :

مازح صديقك ماأحب مزاحا وتوقَّ منه في المزاح جماحا
فلربما مزح الصديق بمزحة كانت لبابِ عداوةٍ مفتاحاً

---

137 – رواه ابن ماجة ، الأدب ،باب المزاح (1225/2) .

138 – الباطل الذي يقصده أبو الدرداء رضي الله عنه ليس الذي هو نقيض الحق إنما هو المزاح والهزل ؛ فقد أورد صاحب (لسان العرب) في معجمه في مادة (بطل) قوله : (بطِل في حديثه بطالة ،وأبطل :هَزَل ، والاسم : البطل) .

139 – مجموع الفتاوى (368/28) .

140 – بهجة المجالس (570/2) .

وقد قِيلَ:"مَنْ أكثَر مِنْ شيء؛ عُرِفَ به[141]".

فتجنَّب هاتيكَ السَّقَطاتِ في مجالَستِكَ ومُحَادَثَتِكَ؛وبعضُ من يَجْهَـــلُ يُظنُّ أن التبسُّطَ في هذا أَرْيَحَيَّةٌ.

وعن الأَحْنَفَ بن قَيْسٍ قال:

"جَنِّبوا مجالسَنا ذِكْرَ النِّسَاءِ والطعامِ؛ إنِّي أُبْغِضُ الرجلَ يكون وصَّافاً لِفَرْجِهِ وبطنِه"[142].

وجرَّبُوه فلم يُر يذكر الدنيا ،لافي مجالس الناس ،ولا في بيته[143] .

وفي كتاب المُحَدِّث المُلْهَم أمير المؤمنين عُمَر بن الخطَّاب رضى الله عنه في القضاء: "ومن تزيَّن بما ليس فيه؛ شانَهُ الله".

وانظر شَرْحَه لابن القيِّم رحمه الله تعالى[144].

وقال الشافعي رحمه الله تعالى:من سام نفسه فـــوق مايســـاوي ردّه الله تعالى إلى قيمته.

8- تَحَلَّ بالمرُوءةِ[145]:

---

[141] – روي مرفوعا بسند ضعيف كما قال الزين العراقي والصواب أنه من قول عمر وأن الأحنف قال قال لي عمر ياأحنف :من كثر ضحكه قلت هيبته ،ومن مزح استخف به ، ومن أكثر من شيء عرف به).

[142] –"سير أعلام النبلاء"(94/4).

[143] – سير أعلام النبلاء"(94/4).وفيه في ترجمة الحميدي (124/19) .

[144] –"إعلام الموقعين". (161/2-162).

[145] – فيها مؤلفات مفردة، انظر:''معجم الموضوعات المطروقة''(ص392).

التحلي بـــ (المروءة)، وَمَا يَحْمِل إليها؛ من مكارمِ الأخلاق، وطلاقَةِ الوجه، « لاتحقرن من المعروف شيئا ولو أن تلقى أخاك بوجـــه طلـــق »[146] **؛وإفشاء السلام،** « لاتدخلون الجنة حتى تؤمنوا ، ولاتؤمنوا حتّ تحـــابوا ،أولا أدلّكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم ،أفشوا السّلام بيـــنكم »[147] ، **وتحمُّـــل النّاس،** فـــ«ـــالّذي يخالط النّاس ويصبر على أذاهم، خير من الّذي لايخـــالط النّاس ولايصبر على أذاهم »[148] **والأَنَفَةِ من غير كبرياءٍ، والعـــزَّةِ في غـــير جَبَروتٍ، والشهامة في غير عصبيَّةٍ، والحَمِيَّةِ في غير جاهلية.**

وعليه؛ فتنكُّب (خوارمَ المروءة)؛أي ابتعد عنها ، **في طَبْعٍ، أو قولٍ، أو عمل؛ من حِرْفَةٍ مَهِينةٍ، أو خَلَّةٍ رديئةٍ، كالعُجْـــبِ، والريـــاء، والبَطَـــرِ، والخُيَلاءِ، واحتقار الآخرين، وغَشَيان مواطن الرِّيَبَ.**

وقد تفاوتت عبارات العلماء في تعريف المروءة :

فقال معاوية ﷺ : المروءة ترك الشهوات ،وعصيان الهوى؛ فاتباع الهوى يزمن ،المروءة ومخالفته تنعشها[149].

وقال ابن القيم :المروءة استعمال مايجمل ويزين،مما هو مختص بالعبد ، أو متعدٍّ إلى غيره ،وترك مايدنس ويشين، مما هو مختص أيضا به أومتعلق بغيره[150].

---

146 – رواه مسلم (2626) من حديث أبي ذر ﷺ قال قال لي النبي ﷺ وذكر الحديث .

147 – رواه مسلم (54) من حديث أبي هريرة ﷺ قال قال رسول الله ﷺ .

148 – رواه الترمذي وابن ماجة والبخاري في الأدب المفرد .

149 – انظر روضة المحبين لابن القيم (477) .

150 – انظر مدارج السالكين لابن القيم (340/2) .

كل شيء يجملك عند الناس ويزينك ويكون سببا للثناء عليك فهو مروءة وإن لم يكن من العبادات ،وكلّ شيء بالعكس فهو خلاف المروءة[151] .

9- التمتُّع بخصال الرجولةِ:

تمتَّع بخصال الرجولةِ؛ من الشجاعة، وشدَّة البأس في الحقِّ، ومكارم الأخلاق، والبَذْلِ في سبيل المعروف، حتى تنقطعَ دونك آمالُ الرجال.

وهذه كالتكميل لما مرّ من خصال المروءة ، فطالب العلم عليه أن يهتم بها وينافس غيره فيها ،حتى يكون سابقا في مضمار المكرمات ،لايطمع في إدراكه أحد ،ولايحسب أحدا أنه طامع فيما بين يديه من عرض الدنيا .

وعليه؛ فاحْذَر نواقضَها؛ من ضعف الجَأْشِ[152]، وقلَّةِ الصبرِ، وضعفِ المكارم، فإنَّها تَهْضِمُ العلمَ، وتقطَعُ اللسان عن قَوْلةِ الحقِّ، وتأخُذُ بناصيتهِ إلى خصومهِ في حالةٍ تَلْفَحُ بسَمُومها في وجوه الصالحين من عبادهِ.

وليعتبر علماؤنا وطلبة العلم بموقف الشيخ سعيد الحلبي عالم الشام في عصره ، حين دخل عليه الجبّار إبراهيم باشا وكان في حلقة العلم مع طلابه مادّاً رجله ، فما غيَّر جلسته ،وما أَبَه لهذا الداخل الذي كانت تهتزّ لمروره الأرض،ثمّ بعد خروجه أرسل له رسولاً معه صرّة من المال ليقدّمها إليه هدية من الأمير يستعين بها على قضاء حوائجه فقال للرّسول:قل للأمير،إن من يمد رجله لا يمد يده [153]!

---

[151] – شرح حلية طالب العلم للشيخ ابن عثيمين (34).

[152] – الجأش : القلب .أي رباطة القلب عند نزول الأمر المفزع .

[153] – رجال من التاريخ للشيخ علي الطنطاوي رحمه الله تعالى .

هكذا عزة العلماء أمام الطواغيت الذين يريدون ذلة العلم وأهله ،أما لو سلم المقصد في إرسال المال للعالم من سلطان نزيه ودون إشراف نفس ولاسؤال ،فذاك مال حلال قد ساقه الله إليه فقد قال النبي ﷺ لعمر رضي الله عنه : « ماجاءك من هذا المال وأنت غير مشرف ولاسائله فخذه ومالا فلاتتبعه نفسك » [154].

ومأأجمل قصيدة العلامة القاضي أبي الحسن علي بن عبد العزيز الجرجاني المتوفى سنة (392) رحمه الله تعالى وهي من أبلغ الشعر ،وأحكم البيان، تصوّر همّة العالم وعزّته ،وسمو القاضي وعفّته [155]:يقول:

يَقُولون لي فيك انْقِبَاضٌ وإنَّما	رَأَوْا رَجُلاً عن مَوْضِعِ الذُّلِّ أحْجَمَا
أرى النَّاسَ مَنْ داناهمُ هَانَ عِنْدَهُم	وَمَن أَكْرَمَتْهُ عِزَّةُ النَّفْسِ أُكْرِمَا
ولم أقْضِ حقَّ العلمِ إن كنتُ كلَّما	بَدَا مَطْمَعٌ صيَّرْتُه لِيَ سُلَّمَا
ومازلتُ مُنْحَازاً بِعِرْضِيَ جانباً	عن الذُّلِّ أعْتَدُّ الصِّيَانَةَ مَغْنَمَا
إذا قيل: هذا مَنْهَلٌ قلت: قَدْ أَرَى	ولكنَّ نفْسَ الحُرِّ تحتَمِلُ الظَّمَا
أُنزِّهُهَا عن بعضِ مَالايَشِينُهَا	مخافةَ أقوالِ العِدَا: فِيمَ أوْ لِمَا ؟
فأُصبِحُ عن عيبِ اللَّئِيمِ مُسَلَّمَا	وقد رُحْتُ في نفْسِ الكريمِ مُعظَّمَا
وإنِّي إذا مافَاتَنِي الأَمْرُ لَمْ أَبِتْ	أُقلِّبُ كَفِّي إثْرَهُ مُتَنَدِّمَا
ولكنَّهُ إنْ جَاءَ عَفْواً قَبِلْتُهُ	وإنْ مَالَ لَمْ أُتْبِعْهُ :هَلاَّ وَلَيْتَمَا
وأَقْبِضُ خَطْوِي عن حُظُوظٍ كثيرةٍ	إذا لَمْ أَنَلْهَا وَافِرَ العِرْضِ مُكْرَمَا
وأُكْرِمُ نَفْسِي أن أُضَاحِكَ عَابِساً	وأنْ أَتَلَقَّى بالمديحِ مُذمَّمَا

[154] – رواه البخاري (1473) ومسلم (1045) .

[155] – انظر ذكر مصادرها في كتاب صفحات من صبر العلماء (352-353-354) وذكر أن عدتها أربعة وأربعين بيتا.وأورد الشيخ حفظه الله تعالى أبياتا ثلاثة ستأتيك في خصلة : عزة العلماء .

وكمْ طالبٍ رِقِّي بِنُعْمَاهُ لَمْ يَصِلْ	إليهِ وإنْ كان الرَّئِيسَ المُعَظَّمَا
وكمْ نعمةٍ كانت على الحُرِّ نِقْمَةً	وكمْ مغْنَمٍ يَعْتَدُّهُ الحرُّ مَغْرَمَا
ولمْ أبْتَذِلْ في خدمةِ العِلْمِ مُهْجَتِي	لأَخْدِمَ منْ لاَقيتُ لكِنْ لِأُخْدَمَا
أَأَشْقَى بِهِ غَرْساً وأجْنِيهِ ذِلَّةً	إذاً فاتِّبَاعُ الجَهلِ قد كان أَحْزَمَا
وإنِّي لرَاضٍ عن فتىً مُتَعَفِّفٍ	يرُوحُ ويغْدُو ليس يملِك درهَما
يبيتُ يُرَاعِي النَّجْمَ من سوء حالِهِ	ويُصْبِحُ طَلْقاً ضاحِكاً مُتَبَسِّمَا
ولايَسْأَلُ المُثْرِينَ مابِأَكُفِّهِم	ولو ماتَ جُوعاً عِفَّةً وتَكَرُّمَا
فإن قلتَ: زَنْدُ العلمِ كَابٍ، فإنَّما	كَبَا حين لم نَحْرُس حِمَاهُ وأَظْلَمَا
وَلَوْ أَنَّ أَهَلْ العِلْمِ صانُوه صانَهم	ولو عَظَّموه في النُّفوس لَعَظَّما
ولكن أهانُوه فهانُوا ودنَّسُوا	مُحَيَّاه بالأطماعِ حتَّى تَجَهَّمَا
وماكلُّ بَرْقٍ لاَحَ لِي يَسْتَفِزُّنِي	ولاكلُّ من لاَقَيْتُ أرْضَاهُ مُنْعِما
ولكن إذا ماضطرَّني الضُّرُّ لمْ أَبِتْ	أُقَلِّبُ فِكْرِي مُنْجِداً ثمَّ مُتْهِمَا
إلى أنْ أَرَى مالأغَصُّ بذكِرِه	إذا قلتُ: قد أسدَى إليَّ وأنْعَمَا

10- هَجْرُ التَّرَفُّهِ:

لا تسترسِل في (التنعُّم والرفاهية)؛ فإنَّ "البذاذةَ [156] من الإيمان[157]،

---

[156] – البذاذة :رثاثة الهيئة (وقال بعضهم: البذاذة أن يكون يوما متزينا ، ويوما شعثا) .

[157] – كما صح عن النبي ﷺ راجع له:''السلسة الصحيحة''(رقم 341) و''تعظيم قدر الصلاة''(رقم 484) لابن

كما صح عن النبي ﷺ ،قال الحليمي رحمه الله تعالى :وإنما هو والله أعلم أن لا تبعده البذاذة عن الجماعات ،فلا يمتنع إذا ساءت حاله عن الجمعة والجماعات ،ولا عن مجالس العلم لأجل رثاثة كسوته ،وسوء هيئة لباسه، ولكنه يصبر على ما هو فيه، ويحمد الله عليه ،ولا يستشعر منه خجلا، ولا حياء ، فذاك إن شاء الله هو الإيمان دون الرثاثة بعينها والله أعلم[158] .

والبذاذة حلية طلبة العلم في زمن الطلب فليسوا من أولئك المخنثين الذي ليس لهم همٌّ إلا تزويقَ أنفسهِم ،وترْجِيلَ شُعورِهِم ،ولكن أولئك الذين إن تلطخت أثواب العروس بالخلوق تضمّخت ثيابهم بالمداد ،وإن شبعت أعين المترفين بالرّقاد ،تكحلت عيونهم بالسهاد ،اشتهاهم الأمير الخليفة أبو جعفر المنصور العباسي (عبد الله بن محمد) المتوفى سنة (158) رحمه الله تعالى ،حيث قيل له :هل بقي من لذات الدنيا شيء لم تنله ؟قال بقيت خصلة :أن أقعد على مِصْطَبَة ، وحولي أصحاب الحديث يقول المستملي :من ذكرت رحمك الله ؟ يعني :فأقول :حدثنا فلان ،قال حدثنا فلان ،عن رسول الله ﷺ ،قال فغدا- أي بكّر – عليه الُّندماء وأبناء الوزراء بالمحابر والدفاتر[159] ،فقال لهم :لستم بهم ! –

نصر المروزي. من حديث أبي أمامة إياس بن ثعلبة الأنصاري ﷺ ،رواه أبوداود (4161)، وابن ماجة(4118)

وصححه الألباني كما في صحيح أبي داود له (4161).

158 – شعب الإيمان للبيهقي (228/5).

159 – الدفاتر مفردها دفتر ،قال أبوجعفر النحاس رحمه الله تعالى :الدفتر اسم عربي لانعلم له اشتقاقا ،وكان أبوإسحاق يذهب إلى اشتقاقه يقال له :دَفتر ودِفتر وتفتر ثلاث لغات،وهو الكراسة ومعناها الكتب المضمومة بعضها إلى بعض) الآداب الشرعية (268/2) .

إنما هم الدنسة ثيابهم ،المشققة أرجلهم ،الطويلة شعورهم ،بُـرُدُ الآفـاق –أي جوابّوا البلدان والمسافات البعيدة – ونقلة الحديث)[160]اهـ .

وخُذ بوصيَّة أمير المؤمنين عُمربن الخطاب رضى الله عنه في كتابه المشهور[161]، وفيه:

"وإيَّاكم والتنعُّمَ وزِيَّ العَجَم، وتمعددوا[162]، واخْشَوْشِنوا[163] 000"[(164)].

وعليه؛ فَازْوَرَّ[165] عن زَيْفِ الحضارة؛ فإنَّه يُؤَنِّثُ الطَّباعَ، ويُرْخي الأعصابَ، ويُقَيِّدُكَ بخيط الأوهام، ويَصِلُ المُجِدُّونَ لغاياتهم وأنتَ لم تَبْرَح مكانك، مشغولٌ بالتأنُّق(والنظر إلى عطفيك قد أعجبتك نفسك) **في**(تحسين) **ملبسك، وإن كان منها شِيَاتٌ[166] ليست محرَّمةً ولا مكروهةً، لكن ليست**

---

[160] – انظر صفحات من صبر العلماء لأبي غدة ص(100-101) .

[161] – أرسله إلى المجاهدين بأذربيجان لعتبة بن فرقد ،يحذرهم من بعض الآفات ،وينصحهم بالركوب والمسابقات في شتى أنواع الرياضات .

[162] – تمعددوا :أي تشبهوا بمعد بن عدنان أبو العرب ،يقال تمعدد :أي تزيَّ بزِيِّ معدّ في تقشفه ،أو تَنَسَّب إليه ،أوتصبر على عيشه ؛ وفي رواية :وتمعززوا ،أي تشددوا في الدين وتصلبوا من العز (القوة والشدة) والميم زائدة .انظر النهاية .

[163] – اخشوشنوا :أي ألبسوا الخشن من الثياب .

[164] – ''مسند على بن الجعد''(1 / 517) (رقم 1030)، وعنه''الفروسية'' لابن القيم (ص9)، و''أدب الإملاء والاستملاء''(ص118). وأصله في الصحيحين وغيرهما.قال ابن الأثير هكذا يروى عن عمر وقد رفعه الطبراني في المعجم.

[165] – ازورّ :عن الشيء ازورارا عدل عنه وانحرف ومنه قوله تعالى :﴿ تزاور عن كهفهم .. ﴾ وقول عنترة :

وازور من وقع القنا بلبانه وشكا إلي بعبرة وتحمحم – السبع الطوال للأنباري (306) .

[166] – شيات :جمع شية أي صفات أوألوان ومنه قوله تعالى ﴿ لاشية فيها ﴾ .

سَمْتاً صالحاً، والحِلْيَةُ في الظاهر كاللِّبَاسِ عنوانٌ على انتماء الشخص، بل تحديدٌ له، وهل اللِّبَاسُ إلاَّ وسيلةٌ من وسائل التعبيرِ عن الذاتِ؟!

فكن حَذِراً في لباسِك، لأنه يُعَبِّرُ لغيرك عن تقويمِك؛ في الانتماء، والتكوين، والذوق[167]، ولهذا قيل: الحليةُ في الظاهر تدلُّ على ميلٍ في الباطن، والناسُ يُصَنِّفُونك من لباسِك، بل إنَّ كيفيَّة اللُّبْسِ تُعْطي للناظرِ تصنيفَ اللابس من: الرَّصانة والتَعقلُّ.

أو التمشيُخ والرهبنةِ.

أو التَّصابي[168] وحُبّ الظهور.

فَخُذْ من اللباسِ ما يُزينك ولا يُشينك، ولا يَجْعَلْ فيك مقالاً لقائلٍ، ولا لَمْزاً للامزٍ، وإذا تلاقى مَلْبَسُكَ وكيفيةَ لُبسِك بما يلتقي مع شَرَف ما تحملُه من العلم الشرعيِّ؛ كان أدعى لتعظيمِك والانتفاعِ بعلمِك، بل بِحُسْنِ نيَّتك يكون قُرْبةً، إنه وسيلة إلى هداية الخلق للحقِّ.

وقد أرشد المصطفى ﷺ أصحابه وأحبابه بأن يكونوا شامَةً بين النّاس ليقتدي النّاس بهم فقد : روى أبو داود بإسناد حسن من حديث ابن الحنظلية حين سأله أبو الدرداء رضي الله عنه أن يقول له كل يوم:كلمة تنفعنا ولا تضرك،قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:« إنكم قادمون على إخوانكم،فأصلحوا رحالكم

---

[167] – : قال الشاعر : فرثاث ثوبك لايزيدك زلفة عند الإله وأنت عبد مجرم
وبهاء ثوبك لايضرك بعد أن تخشى الإله وتتقي مايحرم

[168] – ويقبح بالفتى فعل التصابي وأقبح منه شيخ قد تفتا

وأصلحوا لباسكم حتى تكونوا كأنكم شامة في الناس ، فإن الله لا يحب الفحش ولا التفحش » .

وفي المأثور عن أمير المؤمنين عُمَرَ بن الخطَّاب رضي الله عنه[169]: "أحبُّ إليَّ أنْ أنظُرَ القارئَ[170] أبيضَ الثياب".

أي: لِيَعْظُمَ في نفوس الناس، فَيُعَظَّمَ في نفوسِهم ما لديه من الحق.

والنّاسُ – كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى – كأسرابِ القَطَا، مجبولون على تشبُّه بعضِهم ببعضٍ[171].

فإيَّاك ثم إيَّاك من لباس التَّصابي، أمَّا اللباسُ الإفرنجيُّ، فغيرُ خاف عليك حُكْمُهُ،

وحكمه التحريم ، لقول النبي ﷺ « من تشبه بقوم فهو منهم »[172] ،لكن ماهو اللباس الإفرنجي هو اللباس المختص بهم ،بحيث لايلبسه غيرهم ، بحيث إذا رآه الرائي قال : إن لابسه من الإفرنج ،وأما ماكان شائعا بين الناس من الإفرنج وغيرهم فهذا لايكون فيه التشبه ،لكن قد يحرم من جهة أخرى كأن يكون حريرا بالنسبة للرجال،أوقصيرا بالنسبة للنساء[173] ...

وليس معنى هذا أن تأتي بلباسٍ مُشَوَّهٍ، لكنه الاقتصادُ في اللِّباسِ برسم الشرعِ، تَحُفُّه بالسَّمْتِ الصالح والهَدْيِ الحَسنَ.

---

169 –"الإحكام" للقَرَافي (ص 271).(م)وقد رواه مالك في الموطإ بلاغا (364/4) شرح الزرقاني .

170 – قال أبو عمر في الاستذكار (297/8)القارئ هاهنا العابد الزاهد المتقشف والقراء عندهم العباد والعلماء ..).

171 –"مجموع الفتاوى"(28 / 150).

172 – صحيح سنن أبي داود ، ح/3401 ، وجوّد إسناده ابن تيميّة ، وحسنه ابن حجر .

173 – شرح الحلية للشيخ ابن عثيمين (ص45) .

وتَطَلُّبُ دلائلِ ذلك في كتب السُّنة الرِّقاق، لا سيَّما في "الجامع" للخطيب[174].

ولا تستنكِرْ هذه الإشارة، فما زال أهلُ العلم يُنَبِّهُون على هذا في كتب الرِّقاقِ والآدابِ واللِّباسِ[175]، والله أعلم.

11- الإعراضُ عن مَجالس اللَّغْو:

لاَ تَطَأْ بساطَ من يَغْشون في ناديهم المُنْكَرَ، ويَهْتِكون أستارَ الأدب؛ مُتغابياً عن ذلك، فإنْ فعلتَ ذلك؛ فإنَّ جنايتَك على العلمِ وأهلهِ عظيمةٌ.

لاسيما إن كانت مجالس لغو محرم فيجب الفرار منها قال تعالى : « وقد نزل عليكم في الكتاب أن إذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويستهزأ بها فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره إنكم إذا مثلهم »[176] .

وإن اجتناب هاتيك المجالس دليل على تخلقك بأخلاق عباد الرحمن ؛ « وإذا مروا باللغو مروا كراما »[177] « والذين هم عن اللغو معرضون »[178] وإن أهل العلم مجالسهم من رياض الجنة وهي في الأصل مبرأة عن اللغو والتأثيم ، ومجالسة كل أفاك أثيم ، وكم من مجالس ظاهرها النصح للإسلام وأهله

---

[174] – "الجامع"(1 / 153 – 155).

[175] – "أدب الإملاء والاستملاء"(ص116 – 119)،"اقتضاء الصراط المستقيم"،"مجموع الفتاوى"(21 /539)، وانظر

"الروح" لابن القيم (ص40). وللشيخ حفظه الله تعالى كتاب في حد الثوب والأزرة .

[176] – الآية (140) من سورة النساء .

[177] – من الآية(72) الفرقان .

[178] – من الآية(3) المؤمنون.

،وباطنها الهمز واللمز والتنقص من دعاة الإسلام ،وعباد الرحمن،بدعوى التعديل والتجريح .

قال الفضيل بن عياض رحمه الله تعالى :حامل القرآن حامل راية الإسلام ،لاينبغي أن يلهو مع من يلهو ،ولايسهو مع من يسهو ،ولايلغو من مع يلغو ،تعظيما لحق القرآن[179] .

12- الإعراضُ عن الهَيْشَاتِ[180]:

التَّصَوُّنُ من اللغَّطَ والهَيْشاتِ، فإنَّ الغَلَط تحت اللَّغَط، وهذا يُنافي أدبَ الطلب.

ومن لطيف ما يُستحضر هنا ما ذكره صاحبُ "الوسيط في أدباء شنقيط"[181] وعنه في "معُجم المعاجم":

"أنه وقع نزاعٌ بين قبيلتين، فسعت بينهما قبيلة أخرى في الصلح، فتراضَوْا بحُكم الشرع، وحكَّموا عالماً، فاستظهر قتلَ أربعةٍ من قبيلةٍ بأربعةٍ قُتلوا من القبيلةِ الأخرى، فقال الشيخُ بابُ بن أحمد: مثلُ هذا لا قصاصَ فيه. فقال القاضي: إنَّ هذا لا يُوجَدُ في كتابٍ. فقال: بل لم يَخْلُ منه كتابٌ. فقال القاضي: هذا "القاموس" يعنى أنه يدخُلُ في عموم كتاب – فتناولَ صاحبُ الترجمة "القاموس" وأوَّلُ ما وقع نظره عليه: "والهَيْشَةُ: الفتنةُ، وأم

---

[179] – التبيان في آداب حملة القرآن للنووي (ص54) .

[180] – الهيشات : بفتح الهاء وإسكان الياء وبالشين المعجمة ،جمع هيشة أي اختلاط الأصوات وارتفاعها والمنازعة والخصومات ،واللفظة واردة في الحديث :« وإياكم وهيشات الأسواق » مسلم ود ،ت،وغيرهم .

[181] – انظر الوسيط في أدباء شنقيط (ص 37) نشر فؤاد سيد – القاهرة .

حُبَيْن[182]، وليس في الهَيْشَاتِ قَوَدٌ"، أي: في القتيلِ في الفتنةِ لا يُدرى قاتلهُ، فتعجَّب الناسُ من مثل هذا الاستحضارِ في ذلك الموقف الحَرِجِ"اهـ مُلَخَّصاً.

13- التَّحَلِّي بالرِّفْقِ:

الرفق:بالكسر لين الجانب بالقول والفعل والأخذ بالأسهل .

الْتزمِ الرِّفقَ في القول، مُجْتنباً الكلمةَ الجافيةَ، فإنَّ الخطابَ اللَّيِّن يَتألَّفُ النفوسَ النّاشزةَ.

وأدلَّةُ الكتابِ والسُّنَّةِ في هذا متكاثرةٌ. قال تعالى « ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك »

وعن عائشة رضي الله عنها قالت قال رسول الله ﷺ « إن الله رفيق يحب الرفق في الأمر كله » متفق عليه .

وعنها رضي الله عنها مرفوعا « إنّ الرّفق لايكون في شيء إلا زانه ،ولايترع من شيء إلا شانه » رواه مسلم .

وعن جرير بن عبدالله البجلي رضي الله عنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول« من يحرم الرفق يحرم الخير كله » رواه مسلم .

وكفى بالقلادة ماأحاط العنق .

14- التأمُّلُ:

في اللسان :التثبت ،وتأملت الشيء أي نظرت إليه مستثبتا له ،فعليك : التحلِّي بالتأمل؛ فإنَّ من تأمل أدرك، وقيل:"تَأَمَّلْ تُدْرِكْ".

قال الشاعر[183] :

---

[182] - هي دويبة.

العلم زرع ،والتأمل ماؤه	والذهن أرض ،والمعلم زارع
والبحث فيه شمسه وسماؤه	ولقاء أهل الفضل فيه نافع
ونموه بإفادة ونماؤه	عمل إلى أعلى المراتب رافع
ونفاق هذا العلم في سوق القبو	ل تقى، وإخلاص به وتواضع
ثم التكبر والريا والعجب آ	فات وكل للسعادة مانع

وعليه؛ فتأمَّل عند التكلُّم: بماذا تتكلَّم؟ وما هي عائدتُه؟ وتَحَرَّزْ في العبارةِ والأداءِ دون تعنُّتٍ أو تحذلقٍ .

التعنت :الإيقاع في المشقة ،والتحذلق من حذلق الرجل تحذلق :بزيادة اللام إذا أظهر الحذق فادعى أكثر مما عنده ،كبعض من انتسب للطلب فحفظ أبياتا ،أوأحاديث عدّة بأسانيدها ،أومسائل فقهية تحت باب وفصول وترجيحات، فهي ديدنه في المجالس وفي التشغيب بها على العلماء ، ليلبس بعد ذلك ثوبي زور ؛وقد جاء عن سيد الناس محمد ﷺ قوله « المتشبع بما لم يعط ،كلابس ثوبي زور » البخاري (5219) [184].

، وتأمَّل عند المذاكرة كيف تختارُ القالبَ المناسبَ للمعنى المُرَادِ، وتأمَّل عند سؤال السائل كيف تتفهَّم السؤالَ على وجهه حتى لا يَحْتمل وجهين؟ وهكذا.

---

[183]– الصبابات فيما وجدته على ظهر الكتب من الكتابات جميل العظم ص(74)

[184] – (م) انظر الفتح (318/9) تستفد.

15- الثباتُ وَالتَثَبُّتُ:

تَحَلَّ بالثباتِ والتثبُّتِ، لا سيَّما في المُلِمَّاتِ والمُهِمَّاتِ، ومنه: الصبرُ والثباتُ في التلقيِّ، وطيُّ الساعاتِ في الطَّلَبِ على الأشياخ؛ فإنَّ "مَنْ ثَبَتَ نَبَتَ".

ومن استعجل الشيء قبل أوانه عوقب بحرمانه ، ومن ثبت في الطلب وصبر على اللأواء والسغب ، ورابط في طلب العلم وبه ارتبط ،نال بعض مبتغاه ،وهيهات أن يدرك شيء من غير كدّ ولاتعب .

له تغرَّب وتواضَع واتَّرِعْ وجُعْ وَهُنْ واعْصِ هواك واتَّبِع
حتّ يُرَى حالُك حالُ المنشد لو أنَّ سلْمَى أبصرت تخدُّدي
ودقةً في عظم ساقِي ويدِي وبُعْدَ أهلي وجفاءَ عُوَّدِي
عضّت من الوَجْد بأطراف اليد

التثبت : سواء في سماع العلم أو في القراءة أو غير ذلك من الوسائل في طلب العلم .. قال ابن عبد البر (ومن تأنّى وتثبّت هَيّأ له من الصّواب مالا يتهيأ لصاحب البديهة) ، فعليك بالتثبت في مشوارك العلمي، فتثبت من الفتاوى التي تقرأها ، وتثبت من صحة الأحاديث التي تراها، وتثبت من المسائل التي تتعلمها. ثمّ الثبات في قراءة كل فن أو كتاب رمت قراءته ، فمن الطلبة من يتشتت وقته بين الكتب والمتون ،وتأتيه فترات حماس فيقرأ مثلا من الورقات في الأصول وبعد ايام قليلة تجده يطالع جمع الجوامه ،ولايحط رحله في واد حتى تجده قد عزم على الرحيل ،وماذلك إلا من تشتت أفكاره وعدم ثباته ،فعلى الطالب أن

يستنصح الشيخ في ماينبغي له أن يبدأ به ويتثبت في نقل الأخبار عند التحديث بها .

ا لفصل الثاني
كَيْفِيَّةُ الطَّلَبِ والتَّلَقِّي

16- كيفيَّةُ الطَّلَبِ ومراتِبُهُ:

للعلم مراتب ودرجات ينبغي لطالب العلم أن يسلكها حتّ يتســنَّى لــه أن يتسنّم ذروة الكمال ولو أنّه عزيز وعليه فقد قيل :

"مَنْ لم يُتْقِنِ الأُصولَ؛ حُرِمَ الوُصُولَ"[185]،لأنّ لكلّ علم أصولا هي أساسه وصلبه ،وفيه مُلح وطرائف ،والمقصد الأول والأخير تفكّه واستئناس، ولاينبغي أن يكون على حساب الأول ،وعلى الطالب القصد في السير ؛ **و "من رَامَ العِلْمَ جُمْلَةً، ذهبَ عنه جُملةً"**[186]، **وقيل أيضاً:"ازْدِحَامُ العلمِ في السّمع مَضَلَّةُ الفهم"**[187].

وعليه، فلا بُدَّ من التّأصيلِ والتّأسيس لكُلِّ فنٍّ تطلبُه؛ بضبطِ أصلِهِ ومُختصره على شيخٍ مُتْقنٍ لا بالتحصيلِ الذاتِّي وَحْدَهُ؛ يعني لاتأخذ العلم بالتحصيل الذاتي ،أن تقرأ الكتب فقط دون أن يكون لك شيخ معتمد ،ولهذا قيل من كان دليله كتابه كان خطؤه أكثر من صوابه ،وأمّا من أخذ عن عالم فإنه يستفيد فوائد :

أولها: قصر المدّة .

ثانيها : قلّة التّكلف .

ثالثها : أنّ ذلك أحرى بالصواب [188].

وآخذاً الطَّلَبَ بالتدرُّجِ.

قال اللهُ تعالى:**(وَقُرْآناً فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلاً)** (الاسراء:106)

---

185 –"تذكرة السامع والمتكلم"(ص144).

186 – "فضل العلم" لأرسلان (ص144). من كلام الزهري كما في الإلماع للقاضي عياض.

187 – "شرح الإحياء"(334/1).

188 – شرح الحلية ابن عثيمين (ص55) بتصرف يسير .

وقال تعالى: **(وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلاً)** (الفرقان:32).

وقال تعالى:**(الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلاوَتِهِ)** (البقرة:121).

فأمامَك أمورٌ لابدَّ من مراعاتِها في كُلِّ فَنٍّ تطلبُهُ:

1- حِفْظُ مختصرٍ فيه ؛ إذ أنّ استيعاب المختصرات في كلّ فنّ،أساس للطالب في تقعيد الفنّ المطلوب ، وإيّاك والبطالين الذين أضاعوا أنفسهم فلما رأوها في حياض الضياع والجهل أردوا فيها آخرين ،ولَكَمْ يندم الواحد منّا حينما تفوته فرص كان يودّ لوحفظ فيها من كلّ فنّ مختصرا ،فأعاقه عن ذلك متحذلقون قالوا عليكم بالفهم ،وهو المهمّ ولايضرّكم إن لم تحفظوا، فكنّا وإيّاهم في الأميّة سواء ،بل زدنا عليهم أن صرنا أتباعا لهم في جهلهم ، ولو أنّنا نظرنا في كلام المتقدمين لسلكنا الصراط السوي ،يقول الإمام الذّهبيّ رحمه الله تعالى[189] : شأن الطالب أن يدرس أولا مصنّفا في الفقه ،فإذا حفظه ، بحثه ،وطالع الشروح ،فإن كان ذكيا ،فقيه النّفس ، ورأى حجج الأئمة ،قليراقب الله ، وليحتط لدينه ، فإن خير الدين الورع ، ومن ترك الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه ، والمعصوم من عصمه الله ..إلى أن قال : وبكل حال فإلى فقه مالك المنتهى ، فعامة آرائه مسددة ، ولو لم يكن له إلا حسم مادة الحيل ،ومراعاة المقاصد لكفاه ..).

---

[189] – السير (90/8) ،وانظر كلام الشوكاني في (أدب الطلب ومنتهى الأرب) ص(136) .

2- ضبطُه – وشرحه – **على شيخ مُتْقِنٍ**[190].

ولابدّ أن يكون مع الإتقان الأمانة لأنّ الإتقان قوة ،والقوة لابد لها من أمانة[191] « إنّ خير من استأجرت القويّ الأمين »[192] ، والشيخ إن لم يكن أمينا على العلم فإنه يُضِلُّ الطّالب بكثرة تفريعاته ،وإدخالِه على الطلبة مايضرّهم ولاينفعهم ،وهذا مُشاهد من إخوة كانوا معنا في الطلب، وهم على منهج سليم، وعقيدة صحيحة ،فلما اختلطوا بعلماء من أهل الضّلال والابتداع ، والطرائق الخبيثة ضلّ سعيهم ، بعد أن انبهروا بواسع علمهم ،كما انبهر الضعفاء منّا بحضارة الغرب ، بل صاروا يدافعون عنهم ،ويلتمسون لهم الأعذار فيما يبتدعون،وزادوا أن صاروا بعد ذلك دعاة إليه ،ونصحناهم فما أجدى النّصح ،والله المستعان ،ونسأله حسن الختام لنا ولهم .

3- عدمُ الاشتغالِ بالمطَّولاتِ وتفاريقِ المصنَّفات قبل الضبطِ والإتقان لأَصْلِهِ.[193]

4- لا تَنْتَقِلْ من مُخْتصَر إلى آخَرَ بلا موجبٍ، فهذا من باب الضَّجَر؛ ومضيعة للعمر .

5- اقتناصُ الفوائدِ ،وتدوينها ، فكم من فائدة تمر بها، وتظن أنك أتقنتها وحفظت موضعها ، فإذا احتجت إليها ،التبس عليك مظنة وجودها

---

[190] – انظر تذكرة السامع والمتكلم (112-113) .

[191] – انظر شرح الحلية للشيخ ابن عثيمين رحمه الله تعالى .

[192] –الآية (26) من سورة القصص .

[193] – المرجع السابق (118-119).

،لكن لو قيدتها عرفت مكانها وهان البحث؛**والضوابط العلميَّة**،حفظها مفيد في تعليل المسائل ، ورد الفروع لها ، وهذه مهمة جدّا [194].

6- جمعُ النَّفْسِ للطلبِ والترقِّي فيه، والاهتمامُ والتحرُّقُ للتحصيل والبلوغِ إلى ما فوقَه حتى تفيضَ إلى المطوَّلات بسابلةٍ مُوثقةٍ.

وكان من رأي ابن العَرَبي المالكي[195] أن لا يخلطَ الطالبُ في التعليم بين عِلْمَيْنِ، وأن يُقَدَّم تعليمَ العربيةِ والشَّعْرِ والحسابِ، ثم ينتقل منه إلى القُرآنِ.

لكنْ تعقَّبه ابنُ خَلْدون بأنَّ العوائدَ لا تُساعد على هذا، وأنَّ المُقَدَّم هو دراسةُ القرآن الكريم وحفظُه؛ لأنَّ الوَلَد ما دام في الحِجْرِ؛ ينقاد للحكم، فإذا تجاوز البلوغَ؛ صَعُبَ جَبْرهُ.

أما الخلطُ في التعليم بين عِلْمَين فأكثرَ؛ فهذا يختلفُ باختلافِ المُتَعلِّمين في الفهم والنشاط.[196]

فالإمام النووي رحمه الله تعالى[197] على سبيل المثال كان :يقرأ كلّ يوم أحد عشر درسا على العلماء شرحا وتصحيحا :درسين في الوسيط للغزالي ، وثالثا في المهذب للشيرازي ، ودرسا في الجمع بين الصحيحين للحميدي ، وخامسا في صحيح مسلم ،ودرسا في إصلاح المنطق لابن السكيت ، ودرسا

---

[194] – انظر كتب الأشباه والنظائر ، والقواعد الفقهية .

[195] –"تراجم الرجال "للخضر حسين (ص105) و"فتاوى شيخ الإسلام" ابن تيمية (23 / 54 – 55) مهم.

[196] – انظر تذكرة السامع والمتكلم ص(118) .

[197] – تذكرة الحفاظ للذهبي .

في اللمع لابن جني ،ودرسا في أصول الفقه في اللمع للشيرازي ، والمنتخب للفخر الرازي ، ودرسا في أسماء الرجال ،ودرسا في أصول الدين ،وكان يُعَلِّق جميع مايَتَعَلَّق بها من شرح مشكل ،وإيضاح عبارة ،وضبط لغة .وهذه همة نادرة لاشك وفتح من الله الجليل ،ولايَتأتَّى لكلّ أحد أن يفعل هذا الصنيع ،لكن فضل الله واسع .

والأحسن للطالب الإفراد :

وإن تُرد تحصيلَ فَنّ تَمّمهْ وعن سواهُ قبل الانتهاءِ مَه
وفي ترادف الفنون المنعُ جا إذ توأمان اجتمعا لن يخرجا

وكان من أهل العلم من يُدَرِّسُ الفقه الحنبلِّي في "زاد المُسْتَنْقِع" للمبتدئين، و "المُقْنِع" لمن بعدَهم للخلاف المذهبِّي، ثم "المُغْني" للخلاف العالي، ولا يسمحُ بالطبقةِ الأولى أن تجلسَ في درس الثانية... وهكذا؛ دَفْعاً للتشويش[198].

واعْلَم أَنَّ ذكر المختصراتِ فالمطَّولات التي يُؤَسَّسُ عليه الطلبُ والتلقي لدى المشايخ تختلفُ غالباً من قُطْر إلى قُطْر باختلاف المذاهب، وما نَشَأَ عليه عُلَماءُ ذلك القُطْرِ من إتقانِ هذا المختصرِ والتمرُّسِ فيه دونَ غيره[199].

---

[198] – وكان شيخنا بعض مشايخنا رحمهم الله تعالى :يدرس الكبار الرسالة لابن أبي زيد القيرواني ،ومختصر خليل ولايسمح للصغار بالحضور ،وأما الصغار من طلبة العلم فابن عاشر ،والأخضري وهلم جرّا .

[199] – ففي بلاد شنقيط مثلا يحفظ الصغار القرآن فإذا أتقنوه يمتحنون في رسمه ويقرؤون ربما بعده رسم الطالب عبدالله أوغيره ،ثم الدرر اللوامع في أصل مقرإ الإمام نافع ،ثم المعلقات السبع الطوال ،وفي فقه العبادات

والحالُ هنا تختلفُ من طالبٍ إلى آخرَ باختلافِ القـــرائحِ والفهـــومِ، وقُوَّةِ الاستعدادِ وضَعْفِهِ، وبُرودةِ الذهن وتوقّدِهِ.

وقد كان الطَّلَبُ في قُطْرنا بعد مرحلة الكتاتيبِ والأَخْذِ بحفظ القرآنِ الكريمِ يمرُّ بمراحلَ ثلاثٍ لدى المشايخِ في دروس المســـاجدِ: للمُبتـــدئين، ثم المتَوسَّطين، ثم المُتَمَكنِّين:

ففي التوحيد: "ثلاثةُ الأُصول وأدِلّتها"، و "القواعـــدُ الأربـــع"، ثم "كشف الشُّبُهات"، ثم "كتاب التوحيد"؛ أربعتُها للشيخ محمـــد بـــن عبـــد الوهاب رحمه الله تعالى، هذا في توحيدِ العبادة.

وفي توحيدِ الأسماءِ والصفات: "العقيدة الواسِطيه"، ثم "الحَمَويـــة"، و "التدمرية"؛ ثلاثتها لشيخ الإسلام ابن تيميَّة رحمه الله تعالى، فـــ "الطحاوية" مع "شرحها"[200].

وفي النحو: "الآجرُوُّمِيَّة"،[201] ثم "مُلْحة الإعراب" للحَريري، ثم "قَطْرُ النَّدى" لابن هشام، وألفية ابن مالك مع شرحها لابن عَقِيل.

الأخضري، وابن عاشر ،وفي النحو الأجرومية أو ملحة الإعراب ،أوغير ذلك من المتون الصغيرة ،ثم الارتقاء إلى ألفية ابن مالك وربما معها الاحمرار وهو طرّة لابن بونة ،ويقرؤون في الفقه الرسالة ، ومختصر خليل في الفقه المالكي ،وهكذا صعدا إلى الفنون الأخرى من مصطلح وأصول فقه ،وبلاغة ، وعروض ،وهلم جرّاً .

[200]– للإمام القاضي علي بن علي بن محمد بن أبي العز الحنفي المتوفى سنة 792هـــ .وهي مطبوعة متداولة .

[201] – للإمام ابن آجُرُّوم محمد بن محمد بن داود الصنهاجي المعروف بابن آجروم –بمد الهمزة وضم الجيم –ومعناه بلغة البربر ،الفقير الصوفي توفي سنة (723) الكناشة لعبد السلام هارون (101) حاشية ، وللأجرومية نظم رائق للعمريطي رحمه الله تعالى .ولها شروح كثيرة من ألطفها التحفة السنية بشرح الأجرومية للعلامة النحوي محمد محي الدين عبد الحميد الأزهري رحمه الله تعالى .

وفي الحديثِ: "الأربعين" للنَّووي[202]، ثم "عُمدة الأحكام" للمقدسيّ، ثم "بلوغ المرام" لابن حَجَر، و "المنتقى" للمجد بن تيميَّة؛ رحِمَهُم اللهُ تعالى، فالدُّخول في قراءةِ الأُمَّاتِ[203] السِّتِّ وغيرها.

وفي المصطلح: "نُخْبَةَ الفِكَر" لابن حجر[204]، ثم "ألفية العراقي" رحمه الله تعالى.

وفي الفقه مثلاً: "آداب المشي إلى الصلاة" للشيخ محمد بن عبد الوهاب، ثم "زاد المستنقع" للحَجَّاوي رحمه الله تعالى، أو "عمُدة الفقه"، ثم "المقنع" للخلاف المذهبي، و "المغنى" للخلاف العالي؛ ثلاثُتها لابن قُدامه رحمه الله تعالى.

وفي أصول الفقه: "الورَقَات" للجُوَيني رحمه الله تعالى[205]، ثم "روضة الناظر" لابن قُدامه رحمه الله تعالى[206].

وفي الفرائض: "الرَّحْبية"[207]، ثم مع شروحها، و "الفوائد الجلية"[208].

---

[202]– وله شرح نفيس موسوم بـ: جامع العلوم والحكم للإمام ابن رجب الحنبلي مع تميمه الخمسين حديثا .

[203] – أم الشيء أصله – ويقال أمهات للناس ،وأُمَّات للبهائم قال في اللسان :وخص بعضهم بالأمهة من يعقل وبالأم من لايعقل .

[204] - وللصنعاني نظم يسمى : قصب السكر ، ولأخينا العلامة محمد بن أحمد زاروق الشنقيطي المعروف بالشاعر نظم لها تحت عنوان : عقد الدرر من نخبة الفكر .

[205] – وقد نظمها العمريطي وتوجد مطبوعة ؛وللشيخ محمد ألمامي الشنقيطي نظم لها يسمى بـ: مرقاة الأصلين في نظم ورقات إمام الحرمين ،وشرحها الكثير ،وعلق عليها الجم الغفير.

[206] – وللشيخ محمد الأمين الشنقيطي – صاحب أضواء البيان – رحمه الله تعالى مذكرة عليها معروفة بـ:مذكرة أصول الفقه " جعلها كالطرة على روضة الناظر .

[207] للإمام : محمد بن علي بن محمد بن حسين الرحبي نسبة إلى رحبة مالك بن طوق بين الرقة وبغداد مولدا ووفاة ولد سنة 497هـ والمتوفى سنة 577هـ . وهي منظومة رائقة في الفرائض والبرهانية أفضل منها ولها شرح

وفي التفسير:"تفسير ابن كثير" رحمه الله تعالى.

وفي أصول التفسير:"المقدمة" لشيخ الإسلام ابن تيميَّة رحمه الله تعالى.

وفي السيرة النبوية:"مختصرها" للشيخ محمد بن عبد الوهاب، وأصلها لابن هشام، وفيه "زاد المعاد" لابن القيم رحمه الله تعالى.

وفي لسان العرب: العنايةُ بأشعارها؛ وكـ"المعلَّقات السبع"[209]، والقراءة في "القاموس" للفَيْرُوز آباديِّ رحمه الله تعالى.

... وهكذا من مراحل الطلبِ في الفنونِ.

وكانوا مع ذلك يأخُذون بِجْرَدِ المطولات؛ مثل "تاريخ ابن جرير"، وابن كثير، وتفسيرهما، ويُركِّزونَ على كُتُب شيخ الإسلام بن تيميَّة، وتلميذه ابن القيِّم رحمهما الله تعالى، وكتب أئمَّة الدعوةِ وفتاويهم، لاسيما مُحَرَّراتهم في الاعتقاد.

وهذه المناهج التي يذكرها الشيخ كانت هي العلوم التي يتلقّاها الطلبة في بلادهم جزيرة العرب ؛فأين تلك من جامعاتنا ومدارسنا ،فالله المستعان ، على زمن صار أولياء أمورنا في جلّ البلاد يحاربون حتّى ماتبقّى من ذلك الترر اليسير ، استرضاء لليهود والنصارى فياعِظَمَ الخسارة .

وهكذا كانت الأوقاتُ عامرةٌ في الطّلبِ، ومجالسِ العلمِ، فبعدَ صلاة الفجر إلى ارتفاع الضُّحى، ثم تكون القيلولةُ قُبَيْل صلاة الظهر، وفي أعقاب

لابن سلوم كما ذكر الشيخ ابن عثيمين رحمه الله تعالى في شرحه للحلية .

[208] – فهي للشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله تعالى المتوفى سنة 1419هـ .

[209] – وهكذا لامية العرب للشنفرى ،ولامية أبي طالب ، وبانت سعاد لكعب بن زهير وغيرذلك مما انتخبه العلماء الأدباء كحماسة أبي تمام وشرحها للمرزوقي وهلم جرا .

جميع الصّلوات الخمس تُعْقَدْ الدّروسُ، وكانوا في أدبٍ جَمٍّ وتقديرٍ بعَّزةِ نفسٍ من الطَّرفين على منهجِ السَّلَف الصالح رحمهم الله تعالى، ولذا أدركوا وصَار منهم في عداد الأئمة في العلم جمعٌ غفيرٌ، والحمدُ لله رب العالمين.

فهل من عودة إلى أصالةِ الطَّلَبِ في دراسة المُخْتَصراتِ المعتمـــدةِ، لا على المذكَّرات، المُجْتزأة من قِبَلِ من لايحسنون تركيب الجمل، فضـــلا عـــن تلخيص العلوم إلاّ من رحم الله تعالى .

وفي حِفْظِها لا الاعتماد على الفهم فَحَسْبُ، حتى ضاع الطُّلاَبُ فلا حِفْظَ ولا فَهْمَ! وفي خُلُوِّ التَّلقين من الزَّغَل[210]والشوائبِ والكَدَرِ، سَيْرٌ على مِنْهاج السَّلَف؟ والله المستعان.

وقال الحافظُ عُثمان بن خُرَّزَاذَ (م سنة 282هـــ)رحمه الله تعالى[211]:

"يحتاجُ صاحبُ الحديثِ إلى خمسٍ، فإن عُدِمَتْ واحدةٌ؛ فهي نَقْـــصٌ، يحتاجُ إلى عقلٍ جيدٍ، ودينٍ، وضبطٍ، وحذاقةٍ بالصِّناعةِ، مع أمانةٍ تُعْرَفُ منه".

قلتُ: – أي الذهبيُّ–:

"الأمانةُ جزءٌ من الدين، والضبطُ داخل في الحِذْق، فالذي يَحْتَاجُ إليه الحافظْ أن يكونَ: تقّياً، ذكّياً، نَحْوياً، لَغَوياً، زكياً، حَيِياً، سَلَفّياً يَكْفِيـــهِ أَنْ يَكْتُـــبَ

---

[210] – الزغل: زغل الشيء زغلا وأزغله صبه دُفَعا ومجه ،وهو ما لم يكن به كبير فائدة وإنما كثرة مشغلة ؛وللإمام الذهبي = رحمه الله تعالى رسالة لطيفة بعنوان: بيان زغل العلم والطلب طبعت سنة 1347 بدمشق ولعله أعيد طبعها.

[211] –''سير أعلام النبلاء''(380/13).

بيديه مائتي مُجَلَّد، ويُحَصِّلَ من الدواوين المعتبرة خمسَ مائـــةِ مجلـــدِ، وأن لاَ يفْتُرَ من طلبِ العلمِ إلى الممات بِنَّيةٍ خالصةٍ، وتواضُعٍ، وإلاَّ فلاَ يَتَعَّن" 1هـــ.

17- تَلَقِّي العِلْمَ عن الأشياخِ:

الأصْلُ في الطَّلَب أن يكونَ بطريق التَّلْقين والتَّلَقِّي عن الأساتيذ، والمُثَافَنةِ[212] للأشياخ، والأخْذِ من أفواه الرجالِ[213]، لا من الصُّـــحُفِ وبطـــون الكتبِ، والأولُ من بابٍ أخذ النَّسيبِ عن النسيبِ الناطقِ، وهو المُعَلِّـــمُ أما الثاني عن الكتابِ، فهو جَمَادُ، فأنَّى لـــه اتصالُ النَّسَبِ؟.

قال سلمان رضي الله عنه : « لايزال الناس بخير مابقي الأوّل حتّى يتعلّم أويُعلِّم الآخر ،فإن هلك الأول قبل أن يعلّم أويتعلّم الآخر هلك النّاس » رواه الدارمي[214] .

وقال ابن مسعود رضي الله عنه : « لو أعلم أحدا أعلم منّي بكتاب الله تبلغه الإبل لركبت إليه » البخاري .

---

[212] – المثافنة :الملازمة– (مأخوذة من الثفنة وهي ركبة الإنسان ،كأنك ألصقت ركبتك بركبته).قال لقمان الحكيم :يابني جالس العلماء وزاحمهم بركبتيك فإن الله يحي القلوب بنور الحكمة كما يحي الأرض بوابل المطر .قال البيهقي وروي مرفوعا وهو ضعيف .

[213] – قيل لأبي حنيفة رحمه الله تعالى :في مسجد كذا حلقة يتناظرون في الفقه ،فقال :ألهم رأس ؟ قالوا : لا، قال :لايفقهون أبدا) جامع بيان العلم (139/1)

[214] – الدارمي (87/1) .

وقد قيل:"مَنْ دَخَلَ في العلمِ وحدهَ؛ خرج وحـــدهَ"[215]؛ أي: مَـــنْ دَخَلَ في طلب العلم بلا شيخ؛ خَرَجَ منه بلا عِلْمٍ، إذ العلمُ صَـــنْعَةٌ، وكـــل صَنْعَةٍ تحتاجُ إلى صانعٍ، فلا بُدَّ إذاً لتعلُّمِها من مُعَلِّمِها الحاذقِ.

ومن جميل الشعر مانسب للشافعي رحمه الله تعالى :

أخي لن تنال العلم إلاّ بســـتة سأنبيك عن تفصيلها ببيان

ذكاء،وحرص،واجتهاد،وبُلْـــغَةٌ وصحبة أستاذ،وطول زمان

وهذا يكادُ يكونُ محلَّ إجماع كلمةٍ من أهل العلم؛ إلاَّ من شَذَّ مثـــل: علي بن رُضْوَان المصري الطبيب (م سنة 453هـــ)، وقد رَدَّ عليه عُلمـــاءُ عصره ومن بعدَهم.

قال الحافظ الذهبي رحمه الله تعالى في ترجمته له[216]:

"ولم يكن لـــه شَيْخٌ، بل اشتغلَ بالأخذِ عن الكُتُبِ، وصَّنف كتاباً في تحصيلِ الصناعة من الكُتُبِ، وأنها أوفقُ من المُعَلِّمين، وهذا غَلَطٌ"1هـــ.

وقد بَسَطَ الصَّفَديُّ في "الوافي" الردَّ عليه، وعنه الزَّبيدي في "شـــرح الإحياء" عن عدَدٍ من العُلَماء مُعَلِّلِينَ له بعدَّةِ عللٍ؛ منها ما قاله ابنُ بَطْلانَ في الردَّ عليه[217]

---

215 -''الجواهر والدرر'' للسخاوي (58/1).

216 -''سير أعلام النبلاء''(105/18). وانظر:''شرح الإحياء''(66/1)، و''بغية الوعاة'' (131،286/1)، و''شذرات الذهب (11/5)، و''الغنية'' للقاضي عياض (ص16-17).

217 -"شرح الإحياء" (1 / 66).

السادسة: يُوجد في الكتابِ أشياءُ تَصُدُّ عن العلمِ، وهى معدومةٌ عند المُعَلِّمِ، وهى التصحيفُ العارِضُ من اشتباهِ الحروفِ مَعَ عَدَمِ اللَّفْظْ، والغَلَطِ بَزِوَغَانَ البَصَرِ، وقلة الخبرة بالإعرابِ، أو فسادِ الموجودِ منه، وإصلاحِ الكتابِ، وكتابةِ ما لا يُقْرأ، وقراءةِ ما لا يُكْتب، ومذهبِ صاحبِ الكتابِ، وسُقْمِ النَّسْخ، ورداءة النقلِ، وإدماجِ القارئ مواضعَ المقاطع، وخَلْط مبادئ التعليم، وذكر ألفاظ مُصْطَلَحُ عليها في تلك الصناعة، وألفاظٍ يونانية لم يُخْرِجْها الناقلُ من اللغة، كالنَّوْروس، فهذه كلُّها مُعَوَّقَةٌ عن العلم، وقد استراح المُتَعَلَّمُ من تكلِفُّها عند قراءتهِ على المُعَلِّم، وإذا كان الأمرُ على هذه الصورةِ، فالقراءةُ على العلماءِ أجدى وأفضلُ من قراءة الإنسانِ لنفسه،[218] وهو ما أردنا بيانَه ... قال الصَّفَدي: ولهذا قال العُلماءُ: لا تأخذ العلمَ من صَحَفي ولا من مُصْحَفي، يعنى: لا تقرأ القُرآنَ على مَنْ قرأ من المُصْحفِ ولا الحديثَ وغيرَه على من أخَذَ ذلك من الصُّحُفِ 000" ا هـ[219].

---

[218] –وانظر الموافقات للشاطبي فقد ذكر طرق طلب العلم هناك (1/96-97).

[219] – (وكان بعض السلف يقولون :(من أعظم البلية تشيخ الصحيفة) لأن الكتاب فيه محاذير كثيرة ذكرها أهل العلم وإن هناك جهات ثمان ، لا يمكن أن يأتي الخلل إلى المكتوب إلا عن طريق واحد منها ، حصرها وعدها عداً الإمام الماوردي — يرحمه الله – كما في " أدب الدنيا والدين " ،وخلاصتها:

1- إسقاط ألفاظ من الكلام .

2-زيادة ألفاظ أثناء الكلام يُشكل بها معرفة الصحيح غير الزائد من معرفة السقيم الزائد فيصير الكل مشكلاً.

3- إسقاط حروف من أثناء الكلمة الواحدة والكلمة نوعان : – كلمة إذا سقط منها حرف بان عند تلاوتها لترددها أو شهرتها .

– وكلمة أخرى إذا سقط منها حرف انقلبت إلى كلمة أخرى تتلى على معنى آخر .

والدليلُ الماديُّ القائم على بُطلانِ نظرةِ ابن رُضْوان: أنَّك ترى آلافَ التراجم والسَّيَرِ على اختلافِ الأزمانِ ومرِّ الأعصار وتنوُّع المعارف، مشحونةً بتسميةِ الشيوخِ والتلاميذِ ومستقلٌّ من ذلك ومستكثِرٌ، وانظر شذرةً من المكثرين عن الشيوخِ حتى بلغ بعضُهم الألوفُ كما في "العُزَّاب" من "الإسفار" لراقمهِ.

وكان أبو حَيَّان محمد يوسُف الأندلُسي (م سنة 745 هـ)[220] إذا ذكر عنده ابنُ مالك، يقول:"أين شيوخُهُ ؟".

"وقال الوليد[221]:

كان الأوزاعي يقول: كان هذا العلمُ كريماً يتلاقاه الرّجالُ بينهم، فلما دَخَلَ في الكُتُبِ، دخل فيه غيرُ أهلِه.

وروى مثلَها ابنُ المبارك عن الأوزاعيِّ.

4- زيادة حروف في أثناء الكلمة .

5- وصل الحروف المفصولة ، وفصل الحروف الموصولة .

6- تغيير الحروف عن أشكالها ، وإبدالها بأغيارها .

7- ضعف الخط عن تقويم الحروف على أشكالها الصحيحة ، حتى تصير العين الموصولة كالفاء ـــ مثلاً .

8- إغفال النقط والأشكال التي تتميز به الحروف المشتبهة ، وذلك أن الأوائل لم يكونوا ذوي عناية بتنقيط ما كان معجماً من الحروف .

220 - مقدمة التحقيق لكتاب "الغنية" للقاضي عياض (ص16 – 17).

قال صاحب الوسيط في أدباء شنقيط أحمد بن الأمين الشنقيطي (35) :بعد ذكره للأبيات الآتية في الأصل (يظن الغمر أن الكتب ...الخ): و لم يحط هذا من قدر ابن مالك ولاصد الناس عن كتبه المفيدة ،ومن تتبع بيان العلم وفضله لابن عبد البر عَلِم أن هذا الداء قديم في العلماء من أئمة المذاهب فمن دونهم)اهـ وبالجملة فكلام الأقران يطوى ولايروى .

221 -"السير" (7 / 114).

ولا ريبَ أَنَّ الأَخْذَ من الصُّحُفِ وبالإجازةِ يقعُ فيه خَلَلٌ، ولا سيَّما في ذلك العَصْرِ، حيثُ لم يكن بَعْدُ نَقْطٌ ولا شَكْلٌ، فتتصحَّف الكلمةُ بما يُحيل المعنى، ولا يَقَعُ مثلُ ذلك في الأخذِ من أفواه الرجال، وكذلك التحديثُ من الحفظِ يَقَعُ فيه الوَهَم[222]، بخلافِ الرواية من كتاب محَّررٍ" اهـ[223].

ولابنِ خلدون مبحثٌ نفيسٌ في هذا، كما في "المُقَدَّمة"[224] له.

ولبعضهم:

مَنْ لم يُشَافِهْ عالماً بأُصولهِ فيقِينُهُ في المُشكلات ظُنونُ

وكان أبو حَيَّان كثيراً ما يُنْشِدُ:

---

[222] – الوَهَمُ : بفتح الهاء ،الغلط وزنا ومعنى ،وَهِم يَوْهَم وَهَمًا ، والوهْم بسكون الهاء : من وهَمَ من باب وعد ،سبق القلب إليه مع إرادة غيره .

[223]– ويظهر أن هذا الأخير من كلام الذهبي والله أعلم .

[224] – (4 / 1245).

يَظُنُّ الغَمْرُ[225] أَنَّ الكُتْب تَهْدى ... أَخاَ فَهْمٍ لإدراكِ العُلـــــــــومِ
وما يَدْرِى الجَهولُ بِـــأنَّ فيهـــا ... غوامضَ حَيَّرَتْ عقـــلَ الفهـــيمِ
إذا رُمْتَ العلومَ بغـــيرِ شـــيخٍ ... ضَلَلْتَ عَن الصِّرَاطِ المســـتقيمِ
وتلتبسُ الأمورُ عليـــك حتَّـــى ... تصيرَ أَضلَّ من "تُوما الحكـــيمِ

الفصل الثالث
أَدَبُ الطَّالبِ مَعَ شَيْخِهِ

[225] – الغمر بفتح المعجمة :الصبي الذي لم يجرب الأمور ،يقال صبي :غُمْر، وغَمْر،وغَمَرٌ ،وغَمِرٌ ،ومُغَمَّرٌ.وأما الغمر بكسر المعجمة فهو الحقد والغلُّ .

18- رعايةُ حُرْمَةِ الشَّيْخِ:

بما أنَّ العلمَ لا يُؤخذ ابتداءً من الكُتُب بل لا بُدَّ من شيخٍ تُتْقِنُ عليه مفـــاتيحَ الطَّلَب، لِتَأْمَنَ من العَثَارِ والزَّلَل، فعليك إذاً بالتحلِّي برعاية حُرْمَتِهِ؛ فإنَّ ذلك عنوانُ النجاحِ والفلاحِ والتحصيلِ والتوفيقِ، فَلْيَكُنْ شيخُكَ محلَّ إجلالٍ منك وإكرامٍ وتقديرٍ وتلطُّفٍ، فَخُذْ بمجامعِ الآدابِ مـــع شـــيخِكَ في جُلوسِـــك معه[226]، والتحدثِ إليه، وحُسْن السؤال والاستماع ، قال أمير المؤمنين علي رضي الله عنه : من حقّ العالم عليك، أن تسلّم على النّاس عامة ،وتخصه دونهم بتحية ،وأن تجلس أمامه ولاتشيرنّ عنده بيدك،ولاتغمزن بعينيك،ولاتقولن:قال فلان خلافا لقولك،ولاتغتابن عنده أحدا[227].

وعنه رضي الله عنه :من حق العالم أن لاتكثر عليه السؤال ،ولاتعنته في الجواب ،ولاتلح عليه إذا كسل ،ولاتأخذ بثوبه إذا نهض ،ولاتفش له سرا ،ولاتغتـــب عنده أحدا ،فإنما العالم بمنزلة النخلة ،تنتظر متى يسقط عليك منها شيء[228].

قال الحسن بن علي لابنه يابني :إذا جالست العلماء ،فكن علـــى أن تســـمع ، أحرص منك على أن تقول ،وتعلّم حسن الاستماع كما تتعلّم حسن الصمت ،ولاتقطع على أحد حديثا ،وإن طال حتى يمسك[229]،

---

[226] – وانظر في ذلك مجموعة آداب ذكرها ابن جماعة في التذكرة .

[227] – التبيان للنووي (ص38) ولشيخنا صالح بن محمد الأسمري رسالة لطيفة في أدب الطالب مع شيخه بعنوان :((أدب التتلمذ)) فلتنظر .

[228]– الفقيه والمتفقه للخطيب (99/2).

[229] – جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر (130/1) .

و كذلك عليك أن تراعي **حُسْن الأَدَب في تصفُّح الكتاب أَمامه ومع الكتاب،** يقول الإمام الشافعي رحمه الله تعالى : كنت أصفح الورقة بين يدي مالك صفحا رقيقا هيبة له لئلا يسمع وقعها ،وهكذا صار تلامذة الشافعي يسلكون المسلك الرفيع في الأدب مع شيوخهم ؛يقول الربيع :والله مااجترأت أن أشرب الماء والشافعي ينظر إلي هيبة له [230]؛ **وتَرْكِ التطاول[231] والمماراةِ أمامهَ، وعَدَم التقدُّم عليه بكلام أو مسيرٍ ،أو إكثارِ الكلام عندَه، أو مُداخَلَته في حديثه ودَرْسِه بكلامٍ منك، أو الإلحاحِ عليه في جَواب؛ مُتَجَنِّباً الإكثارَ من السؤال، لا سيَّما مع شُهود الملإ، فإنَّ هذا يُوْجِبُ لك الغُرورَ وله المَلَلَ.**

ولا تُناديه باسمه مُجَرداً، أو مع لَقَبه كقولِكَ:يا شيخُ فلان! بل قل:يا شيخي! أوياشيخَنا ! فلا تُسَمِّه، فإنَّه أرفعُ في الأدب، ولا تُخاطِبْه بتاء الخطابِ، أو تُناديه من بُعْدٍ من غيرِ اضطرار.

وانْظُر ما ذَكَرَهُ الله تعالى من الدلالةِ على الأَدَبَ مع مُعَلِّمِ الناسِ الخيرَ ﷺ في قوله: ﴿لا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضاً... ﴾ (النور: 63).

---

[230] – التذكرة لابن جماعة (88)فأين هذا الأدب التليد مع بعض طلبة العلم المنتسبين له اسما لارسما، والمتنمرين ببعض فتاته على مشايخهم نفسا وجسما، فإلى الله المشتكى من أخبارطلبة نوكى لاسيما ممن ظنوا أن العلم بعض أحاديث تدرس بظواهرها لابلبابها ،وبألفاظها لابمعانيها وآدابها ،ففقدوا العلم والعمل معا ولاحول ولاقوة إلا بالله العلي العظيم ؛وللشيخ عبد العزيز القاري حفظه الله تعالى وقفات تحت عنوان (من قضايا العلم والتعلم) نشرتها مجلة البيان في أعدادها (19-20-21).

[231] – بل ينبغي لطالب العلم أن يهضم نفسه ،ويزري عليها فذلك أد عى للانتفاع من شيوخه (ويقال إنما ينتفع المتعلم بكلام العالم إذا كان في المتعلم ثلاث خصال :التواضع ،والحرص على التعلم ، والتعظيم للعالم ، فبتواضعه ينجع العلم ، وبحرصه يستخرج العلم ،وبتعظيمه يستعطف العالم) تذكرة السامع(89) .

وفي تفسيرها للعلماء معنيان :الأول : لاتنادوه باسمه، كما ينادي بعضكم بعضا ،وهذا ماساقه المؤلف من أجله .

الثاني :لاتجعلوا دعاءه إيّاكم كدعاء بعضكم بعضا ،بل عليكم أن تجيبوه تمتثلوا أمره وتجتنبوا نهيه بخلاف غيره[232] .

وكما لا يليق أن تقولَ لوالدكَ ذي الأُبُوةَّ الطينيَّة: "يا فلان" أو: "يا والدي فلان" فلا يَجْمُلُ بك مع شيخِك.

والتزمْ توقيرَ المجلسِ، وإظهارَ السُّرور من الدرسِ والإفادةَ بهِ.

وإذا بَدَا لك خَطَأٌ من الشيخِ، أو وَهْمٌ فلا يُسْقِطْه ذلك من عينك؛ فإنّه سببٌ لحرمانك من عِلْمِه، ومن ذا الذي يَنْجُو من الخطأ سالماً؟ واحْذَر أن تُمَارِسَ معه ما يُضْجِرُهُ، ومنه ما يُسَمَّيه المُوَلَّدُون: "حرب الأعصاب[233]؛ بمعنى: امتحانِ الشيخِ على القُدرة العِلْمِيَّة والتحمُّل.

وإذا بدا لك الانتقالُ إلى شيخٍ آخرَ، فاسْتَأْذِنْهُ بذلك؛ فإنه أدعى لحُرمتِه، وأملكُ لقلبِه في محبَّتك والعَطْفِ عليك 000

وسينصحك الشيخ فيمن ينبغي لك أن تتوجه إليه، لأنه أدرى منك في تقدير المشايخ، وعلمهم ،وصحة منهجهم ، ولربّما بَدَا لك أن تعودإليه مرّة أخرى، فلا تجد في ذلك غضاضة ، فتعود معزّزا مكرّما، لأدبك .وهكذا فليكن دأبك **إلى آخر جُملةٍ من الأدب يعرفُها بالطبع كلُّ مُوَفَّقٍ مُبَارَكٍ وفاءً لحقِّ**

---

[232] – شرح الحلية للشيخ ابن عثيمين (ص81) .

[233] –"معجم التراكيب" لأحمد أبو سعد (ص 283)، تركيب مولّد.

شيخِكَ في "أُبُوَّتِه الدِّينيةِ"، أو ما تُسميِّه بعضُ القوانين باسم "الرَّضاع الأدبي"[234]:، وتَسْمِيَةُ بعض العُلماء له "الأُبَّوة الدينية" أليقُ، وتركُه أنسبُ.

واعْلَم أَنَّهُ بِقَدْرِ رعايةِ حُرمتهِ يكونُ النجاحُ والفلاحُ، وبقدرِ الفَوْتِ يكونُ من علاماتِ الإخفاقِ.

تنبيهٌ مُهِمٌّ:

أُعيذك باللهِ من صَنيع الأعاجمِ، والطُّرُقِيَّةِ، والمبتدعة الخَلَفِيَّةِ؛ من الخُضوعِ الخارجِ عن آدابِ الشَّرعِ؛ مِن لَحْس الأيدي، وتَقْبيل الأكتاف، والقَبْض على اليمين باليمين والشمال عند السلامِ؛ كحالِ تودُّد الكبار للأطفالِ، والانحناءِ عند السَّلام، واستعمال الألفاظِ الرَّخْوة المُتخاذِلة: سيّدي، مولاي، ونحوِها من ألفاظ الخَدَم والعبيدِ.

وانْظُر ما يقولُه العَلاَّمة السَّلَفي الشيخ محمد البشير الإبراهيمي الجزائري(م سنة1380هـ) رحمه الله تعالى في "البصائر"؛ فإنه فائقُ السِّياق[235].

19- رأسُ مالِك – أيها الطالبُ – من شيخِك:

---

234 -"مقاصد الشريعة" لعلال الفاسي (ص33).

235 -"آثاره" (4 / 40 – 42). كتاب "آثار الشيخ البشير الإبراهيمي رحمه الله تعالى مطبوع في خمس مجلدات ،تحت إشراف نجله أحمد طالب الإبراهيمي ،وحقيقة أننا وجدنا كثيرا من طلبة العلم والعلماء لايعرفون كثيرا عن جمعية العلماء في الجزائر وآثارها السديدة في إصلاح المجتمع ،ومحاربة الاستعمار فننصح باقتنائه لاسيما وأنه طبع طبعة ممتازة بدار الغرب الإسلامي . وأما البصائر فهي لسان حال جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وكان البشير رئيس تحريرها ،وقد طبعت وزارة الأوقاف في الجزائر بعض آثار البشير باسم عيون البصائر ،وقد طبعت البصائر أخيرا .

القدوةُ بصالحِ أخلاقهِ وكريمِ شمائلِه .

قال ابن الجوزي[236] رحمه الله تعالى :في ترجمة شيخه عبد الوهاب بن المبارك بن أحمد الأنماطي :ماعرفنا من مشايخنا أكثر منه سماعا منه ،ولاأكثر كتابة للحديث ،ولاأصبر على الإقراء ،ولاأحسن بشرا ولقاء ،ولاأسرع دمعة ،ولاأكثر بكاء ،ولقد كنت أقرأ عليه الحديث في زمن الصبا ،ولم أذق بعد طعم العلم ، فكان يبكي بكاء متصلا، وكان ذلك البكاء يعمل في قلبي ،وأقول مايبكي هذا هكذا إلا لأمر عظيم فاستفدت ببكائه مالم أستفد بروايته .. ، **أمّا التَّلَقِّي والتلقينُ؛ فهو ربحٌ زائدٌ، لكن لا يأخُذُكَ الاندفاعُ في محبَّة شيخك فتقعَ في الشناعةِ من حيثُ لا تدرى، وكلُّ من ينظر إليك يَدْري، فلا تُقَلِّده بصوتٍ ونَغْمةٍ، ولا مشيةٍ وحركةٍ وهيئةٍ، فإنَّه إنما صار شيخاً جليلاً بتلك، فلا تَسْقطُ أنت بالتَّبَعِيَّةِ له في هذهِ.**

20- نَشَاطُ الشيخ في درسهِ:

يكونُ على قَدْرِ مدارِكِ الطالب في استماعهِ، وجَمْعِ نفسه، وتفاعُلِ أحاسيسه مع شيخِه في دَرْسِه، ولهذا فاحْذَر أن تكونَ وسيلةَ قطعٍ لعلمهِ؛ بالكَسَلَ، والفُتورِ والاتِّكاء، وانْصِرَافِ الذِّهن وفُتورهِ[237].

قال الخطيب البغداديُّ رحمه الله تعالى[238]:

---

[236] – صفة الصفوة (498/2).

[237] –انظر التذكرة لابن جماعة (الفصل الثاني في آدابه مع شيخه وقدوته ومايجب عليه من عظيم حرمته)ص(85) ،والإحياء للغزالي .

[238] –"الجامع" (1 / 330).

"حَقُّ الفائدة أن لا تُساقَ إلا إلى مُبْتَغيها، ولا تُعْرضَ إلاَّ على الراغبِ فيها، فإذا رأى المُحَدِّثُ بعض الفُتور من المستمعِ، فَلْيَسْكُتْ؛ فإنَّ بعض الأدُباء قال: نشاطُ القائلِ على قَدْر فَهْمِ المستمعِ".

ثم ساق بسنده عن زَيْد بن وَهْب، قال:

"قال عبدُ الله:حَدِّث القومَ ما رَمَقوك بأبصارهم، فإذا رأيتَ منهم فَتْرَةً، فانْزَع" ا هـ .

وقال مالك إمام دار الهجرة رحمه الله تعالى :لاينبغي للعالم أن يتكلم بالعلم عند من لايطيقه ،فإنه ذل وإهانة للعلم[239] .

وقال الشافعي [240]حين وجد من لايبتغي علمه ،ولايريد جودة فهمه ،ولمس من القوم نفورا ،ومن الهمم فتورا فأنشأ يقول :

أَأَنْثُرُ دُرّاً بين سَارِحةِ النَّعمْ ... وأَنْظِمُ منثوراً لِرَاعية الغَنَم

لعَمْري لئِن ضُيِّعْتُ في شرِّ بلْدَةٍ ... فلَسْت مُضِيعاً بينهم غُرَرَ الحِكَم

فإن فرَّج الله اللَّطِيفُ بِلُطْفِهِ ... وصادفتُ أهلاً للعلوم وللحِكَم

بَثَثْتُ مُفِيداً واسْتَفَدْتُ وِدَادَهُم ... وإلاَّ فمخزُونٌ لَدَيَّ ومُكْتَتَمْ

وكَاتِمُ عِلْمِ الدِّين عمَّن يَبُوءُ بإثْم زادَ وإثم إذا

21- الكتابةُ عن الشيخِ حالَ الدَّرْسِ والمذاكرةِ:

وهى تختلفُ من شيخٍ إلى آخرَ[241]، فافْهمَ.

---

[239] – حلية الأولياء (320/6)

[240] – السير (71/10) .

[241] – لأن بعض الشيوخ لايزيدك عن حل الأبيات ،وآخرون يتوسعون في الشرح والإيرادات ،وآخر سريع الشرح وبعضهم يملي إملاء ، (ولكل وجهة).

ولهذا أدبٌ وشرطٌ:

أما الأدبُ؛ فينبغي لك أن تُعْلِمَ شيخَك أنك ستكتبُ، أو كتبتَ ما سمعتَه مذاكرةً.

وأما الشرطُ، فَتشُير إلى أنك كتبتَه من سماعِه من درسه[242].

حتى لايظنّ من قرأ كتابك أنّ الشّيخ قد أملاه عليك ،وفرق بين أن تكتب ماسمعته وبين الإملاء .

22- التّلقي عن المبتدع:

احْذَر "أبا الجهل" أي صاحب الجهل – المبتدعَ، الذي مسَّهُ زيغُ العقيدةِ، وغَشِيَتْهُ سُحُبُ الخرافةِ[243]**، يُحَكِّمُ الهوى ويُسَمِّيه العقلَ، ويَعْدِلُ عن النصِّ،وهل العقلُ إلا في النَّصِّ؟!**

لأنه يستحيل أن يخالف عقل صريح نصا صحيحا ،فإن كان فالعلة في أحدهما ؛**ويَسْتَمْسِكُ بالضعيفِ ويُبْعِدُ عن الصحيح، ويُقال لهم أيضاً: "أهل الشبهات"**[244]**، و "أهل الأهواء"، ولذا كان ابنُ المبارك**[245] **رحمه الله تعالى يُسَمِّي المبتدعة: "الأصاغر".**

---

[242] –"الجامع" (2/36-38).قال السيوطي :وكاتب التسميع فليبسمل ويذكر اسم الشيخ (ناسبا جلي).

[243] – الخرافة : مأخوذة من اسم رجل من عذرة استهوته الجن فكان يحدث بما رأى فكذبوه وقالوا حديث خرافة ،وقد أجروه على كل مايكذبونه من الأحاديث ،وعلى كل مايستملح ويتعجب منه .

[244] –"الجامع" (1 / 137).

[245] – في "الزهد" (61) له، وانظر:"السلسلة الصحيحة (رقم 695).

(وثبت في الحديث عن النبي ﷺ النهي عن التماس العلم عن الأصاغر؛: « إن من أشراط الساعة أن يلتمس العلم عند الأصاغر »[246] والعلماء على أقوال في معنى الأصاغر :

1- أنهم أهل البدع وهو قول ابن المبارك .

2- أن يؤخذ العلم عمن بعد الصحابة ممن يقدم رأيه على رأيهم، قاله أبوعبيد .

3- الذين لاعلم عندهم فقد نقل أبوعمر بن عبد البر – عن بعض أهل العلم قولهم في الصغير المذكور في قول عمر رضي الله عنه (فساد الدين إذا جاء العلم من قبل الصغير استعصى عليه الكبير ،وصلاح الناس إذا جاء العلم من قبل الكبير تابعه الصغير .[247] رواه القاسم بن أصبغ في مصنفه بسند صحيح .

4- المراد به من يُستفتى ولاعلم عنده ،وأن الكبير هو العالم في أي سنٍّ كان ،وقالوا الجاهل صغير ،وإن كان شيخا والعالم كبير وإن كان حدثا [248].

تعلَّم فليس المرءُ يُولَد عالما وليس أخو علم كمن جاهل

وإن كبيرَ القوم لاعلم عنده صغيرٌ إذا التفَّت به المحافل

5- أن المراد صغر السّنّ فإنّ عالِم الشباب محقور ،كما قال ابن المعتمر .[249]

ويرحم الله تعالى القاضي عبد الوهاب المالكي حيث قال :

---

[246] –

[247] – صححه الحافظ في الفتح (1/301-302) .

[248] – جامع بيان العلم وفضله (1/159) .

[249] –(م) انظر التعالم للشيخ بكر (ص28) المجموعة العلمية ، و قواعد في التعامل مع العلماء (95) .

متى يصل العطاش إلى ارتواء		إذا اسْتَقَتِ البحارُ من الرَّكَايَا
ومن يُثني الأصاغِرَ عن مُراد		إذا جلس الأكابر في الزّوايا
وإنّ تَرَفُعَ الوُضَعَاءِ يوما		على الرّفعَاء من إِحْدى الرّزايافقد
إذا استوتِ الأسَافِلُ والأعالي		طابت مُنادَمَة المنايا

وقال الذهبي رحمه الله تعالى[250]:

"إذا رأيتَ المُتَكَلِّمَ المُبتدعَ يقول: دعنا من الكتابِ والأحاديث، وهات (العقلَ)؛ فاعلمَ أنَّه أبو جَهْلٍ، وإذا رأيتَ السالكَ التوحيديَّ [251]يقول: دعنا من النقل ومن العقلِ، وهات الذوقَ والوَجْدَ، فاعْلَمْ أنه إبليسُ قد ظهر بصورة بشَر، أو قد حَلَّ فيه، فإن جَبُنْتَ منه فاهُرب، وإلاّ؛ فاصْرَعه، واْبُرِكْ على صَدْرِه، واقرأ عليه آيةَ الكُرسِّي، واخْنُقْه" اهـ.

وقال أيضا رحمه الله تعالى[252]:

"وقرأتُ بخط الشيخ المُوَفَّق قال: سَمِعْنا دَرْسَه – أي ابن أبي عَصْرون – مع أخي أبي عُمَر وانقطعنا، فسمعتُ أخي يقول: دخلتُ عليه بعد، فقال: لِمَ انقطعتُم عنِّي ؟ قلتُ: إنَّ أناساً يقولون: إنك أشعريٌّ، فقال: واللهِ ما أنا أشعريّ. هذا معنى الحكاية" اهـ.

---

[250] –" السير"(4 / 472).

[251] – السالك التوحيدي : المتصوف .

[252] –"السير"(129/21).وابن أبي عصرون هو أبوسعد عبدالله بن محمد بن هبة الله ابن المطهر بن علي بن أبي عصرون

بن أبي السَّرِّي التميمي الموصلي الشافعي ت(585).

وعن مالكٍ رحمه الله تعالى قال[253]:

"لا يُؤْخَذُ العلمُ عن أربعةٍ: سفيهٍ يُعْلِنُ السَّفَه وإن كان أَرْوى الناس، – وقدقال عن نفسه رحمه الله تعالى : ماجالست سفيها قط ، قال أحمد:ليس في فضائل الأعمال أجلُّ من هذا ،فإن مجالسة السفهاء تطفئ نور العلم ،ولابد لجليسهم أن ينحط من ذروة التحقيق إلى حضيض التقليد ،وهذا يقدح في صفاء العلم[254] –

وصاحبِ بدعةٍ يدعو إلى هواه، ومَن يكذبُ في حديثِ النَّاس، وإنْ كنتُ لا أَتَّهِمُه في الحديثِ، وصالحٍ عابدٍ فاضلٍ إذا كان لا يحفظُ ما يُحَدِّثُ به".

فيا أيُّها الطالب! إذا كُنتَ في السَّعةِ والاختيار؛ فلا تأخُذ عن مبتدعٍ: رافضِّي، أو خارجِّي، أو مُرْجئ، أو قَدَريّ، أو قُبوريّ، 000 وهكذا؛ قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى[255] :فإذا تعذر إقامة الواجبات من العلم والجهاد وغير ذلك إلا بمن فيه بدعة مضرتها دون ذلك الواجب ،كان تحصيل مصلحة الواجب مع مفسدة مرجوحة خيرا من العكس ،ولهذا كان الكلام في هذه المسائل فيه تفصيل ؛ **فإنَّك لن تبلغَ مبلغَ الرجال – صحيحَ العَقْد في الدِّين، متينَ الاتِّصال بالله، صحيحَ النَّظر، تَقْفُو الأَثَرَ – إلاَّ بِهَجْر المبتدعِة وبِدَعِهم.**

---

[253] – كما في "السير"(8 / 61) ،

[254] – بستان المحدثين للدهلوي (24) .

[255] –(م) .مجموع الفتاوى (212/28).

"وظاهر كلام الشيخ – وفقه الله تعالى –أنه لايؤخذ عن صاحب البدعة شيء حتى فيما لايتعلق ببدعته ،فمثلا إذا وجدنا مبتدعا ،لكنه جيد في علم العربية:البلاغة والنحو والصرف،فهل نجلس إليه ونأخذ منه هذا العلم الذي هو جيد فيه أم نهجره ؟ ظاهر كلام الشيخ أننا لانجلس إليه لأن ذلك يوجب مفسدتين :

المفسدة الأولى :اغتراره بنفسه ،فيحسب أنه على حق .

المفسدة الثانية – اغترار الناس به ، حيث يتوارد عليه الناس وطلبة العلم ويتلقون منه، والعامي لايفرق بين علم النحو والعقيدة ، لهذا لانرى أن الإنسان لايجلس إلى أهل البدع والأهواء مطلقا ،حتى إن كان لايجد علم العربية والبلاغة والصرف إلا فيهم ، فسيجعل الله له خيرا منه [256] ".

وكُتُبُ السِّيَرِ والاعتصامِ بالسنةِ حافلةٌ بإجهاز أهل السنةِ على البدعةِ، ومُنَابَذَةِ المبتدعةِ، والابتعادِ عنهم؛ كما يبتعدُ السليمُ عن الأَجْرَبِ المريضِ، ولهم قَصَصٌ وواقعَاتٌ يطولُ شَرْحُها[257]، لكن يطيبُ لي الإشارةُ إلى رؤوس المُقَيدَّات فيها:

فقد كان السَّلَفُ رحمهم الله تعالى يحتسبون الاستخفافَ بهم، وتحقيَرهم ورَفْضَ المبتدع وبدعتِه،ويُحَذِّرون من مُخَالَطَتِهم، ومُشَاوَرَتِهم، ومؤاكلتِهم، فلا تتوارى نارُ سُنِّيٍّ ومبتدعٍ.

---

[256] – من كلام الشيخ ابن عثيمين رحمه الله تعالى في شرح الحلية (ص90-91) .

[257] – وفي رسالة ''هجر المبتدع" لراقمه أصول مهمة في هذه المسألة.

وكان من السلف من لا يُصَلِّى على جنازة مبتدعٍ، فينصرفُ ؛ قال مؤمل بن إسماعيل :مات عبد العزيز – بن أبي رواد – فجيء بجنازته ،فوضعت عند باب الصّفا ،وجاء سفيان الثوري ،فقال النّاس :جاء سفيان ،جاء سفيان ، فجاء حتى خرق الصّفوف ،وجاوز الجنازة ،و لم يصلّ عليها ، لأنّه كان يرى الإرجاء ، فقيل لسفيان ،فقال :والله إنّي لأرى الصّلاة على من هو دونه عندي ،ولكن أردت أن أُرِيَ النّاس أنّه مات على بدعة [258]؛ وذكر أن الإمام سحنون المالكي حضر جنازة فتقدم ابن ابي الجواد القاضي وكان يذهب الى القول بخلق القران فصلى عليها فانصرف سحنون و لم يصل خلفه[259] ، **وقد شوهد من العلاَّمة الشيخ محمد بن إبراهيم المتوفى سنة 1389 هـ رحمه الله تعالى، انصرافه عن الصلاةِ على مبتدعٍ.**

وكان من السَّلَف من ينهى عن الصلاةِ خَلْفَهم، وينهى عن حكايةِ بدعهم؛ لأنَّ القلوبَ ضعيفةٌ، والشُبَه خطَّافةٌ.

وكان سَهْل بن عبد الله التُّسْتَري لا يرى إباحةَ الأكل من المَيْتَةِ.. للمُبتدع عند الاضطرار؛ لأنَّه باغٍ، لقولِ الله تعالى:(فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ ....)[260]الآية، فهو باغ ببدعته[261].

---

[258] – (م) انظر السير (186/7).

[259] –ترتيب المدارك للقاضي عياض (209/2)

[260]– الآية(173) من سورة البقرة .

[261] – "الفتاوى"(218/28)، انظرها، فهو مهم.

بل إنّ الشيخ الزّعفراني الحسن بن محمد بن الصباح المتوفى(260) قال قال الشافعي في الرافضي يحضر المعركة لايعطى شيئا لأن الله ذكر آية الفيء ،ثم قال « والذين جاءو من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ....الآية » فمن لم يقل بها لم يستحقّ[262] اهـ.

وكانوا يطردُونَهم من مجالسِهم، كما في قِصَّة الإمام مالك رحمه الله تعالى مع من سأله عن كيفيَّةِ الاستواءِ، وفيه بعدَ جوابِه المشهورِ:"أظنُّك صاحبَ بدعةٍ"، وأَمَرَ به، فأُخْرِج.

وأخبارُ السَّلَف متكاثرةٌ في النُّفرة من المبتدعةِ وهَجْرِهم، حَذَراً من شَرِّهم، وتحجيماً لانتشارِ بِدَعِهم، وكَسْراً لنفوسِهم حتى تَضْعُفَ عن نشر البِدَعِ، ولأنَّ في معاشرة السُّنِّيِّ للمبتدعِ تزكيةً له لدى المبتدئ والعامِّي – والعامُّي: مُشْتَقٌّ من العمى، فهو بيدِ من يقودُهُ غالباً.

ونرى في كتب المُصْطَلح، وآداب الطلب، وأحكام الجرح والتعديل: الأخبارَ في هذا[263].

فيا أيها الطالبُ ! كن سَلَفياً على الجادَّة، واحْذر المبتدعَة أن يفتنوك؛ فإنَّهم يُوَظِّفون للاقتناصِ والمخاتَلَةِ سُبُلاً، يفتعلون تعبيدَها بالكلامِ المَعْسول – وهو: (عسل) مقلوبٌ – وهُطولِ الدمعةِ، وحُسْنِ البَزَّةِ،والإغراءِ بالخيالاتِ،

---

[262] – طبقات الشافعية لابن السبكي (117/2) .

[263] – منها في:''الجامع للخطيب"(باب: تخير الشيوخ إذا تباينت أوصافهم) (10 / 127)، وفي كتاب:"مناهج العلماء في الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر "للسامرائى (ص 215 – 255)، وهو مهم، وفي (التحول المذهبي) من "الإسفار" لراقمه أمثلة من آثار مخالطتهم.

والإدهاشِ بالكراماتِ، ولَحْسِ الأَيْدِي، وتقبيلِ الأكتافِ 00 وما وراءَ ذلك إلاَّ وَحَمُ البدعةِ، وَرَهَجُ الفتنةِ، يَغْرِسُها في فؤادِك، ويَعْتَمِلُك في شِرَاكِه، فواللهِ لا يَصْلُح الأعمى لقيادةِ العميانِ وإرشادهم.[264]

أما الأخذُ عن علماء السنةِ؛ فالْعَقِ العَسَلَ ولا تَسَل.

وفَّقك اللهُ لِرُشْدكَ، لتنهلَ من ميراثِ النُّبوةِ صافياً، وإلا؛ فَلْيَبْكِ على الدِّين من كان باكياً.

وما ذكرتُه لك هو في حالة السَّعةِ والاختيارِ، أمَّا إن كُنْتَ في دراسةٍ نظامِيَّةٍ لا خيارَ لكَ، فَاحْذَرْ منه، مع الاستعاذةِ من شَرِّهِ، باليَقظَة من دسائسه على حدِّ قولهم:"اجْنِ الثِّمارَ وأَلْقِ الخَشَبَةَ في النَّارِ".

ولا تتخاذَلْ عن الطَّلَبِ، فأخشى أن يكونَ هذا من التَّـوَلِّي يـومَ الزَّحْفِ، فما عليك إلاَّ أن تَتَبَيَّنَ أَمْرهَ وَتَّتقِي شَرَّهُ وتكشفَ سِتْرَه.

ومن النُّتَفِ الطريفةِ أنَّ أبا عبد الرحمن المُقرئ حدَّث عن مُرجئ، فقيل له: لِمَ تُحَدِّث عن مُرْجئ ؟ فقال:"أبيُعكم اللَّحْمَ بالعِظام"[265].

فالمُقرئ رحمهُ اللهُ تعالى حَدَّث بلا غَرَرٍ ولا جهالةٍ إذ بَيَّنَ فقال:"وكان مُرْجئاً".

---

[264] – الوَحَم :اسم الشيء المشتهى ،وأصل الوحم للحبلى . والرهج : الغبار .

[265] – الخطيب في "جامعه"(224/1). انظر ترجمة أبي عبد الرحمن عبد الله بن يزيد بن عبدالرحمن الأهوازي الأصل ،البصري ،المقرئ في السير (10/166-167-168) ، ومعرفة القراء الكبار (للذهبي (130/1).

وما سطرتهُ لك هُنا هو من قواعدِ معتقِدك، عقيدةِ أهل السُّنَّةِ والجماعة، ومنه ما في "العقيدة السَّلَفِّية"لشيخ الإسلام أبي عُثْمانَ إسماعيلَ بن عبدِ الرحمن الصَّابُونيِّ (م سنة **449** هـ)، قال رَحِمَهُ اللهُ تعالى[266]:

ويُبغضون أهلَ البدعِ الذين أَحْدَثوا في الدِّين ما ليس منه، ولا يُحِبُّوهم ولا يَصْحَبُوهم، ولا يَسْمعون كَلاَمَهم، ولا يُجَالِسُوهم، ولا يُجَادلوهم في الدِّين، ولا يُناظروهم، وَيَرْون صَوْنَ آذانهم عن سماع أباطيلهم التي إذا مَرَّت بالأَذانِ وقَرَّت في القلوب، ضَرَّت وجَرَّت إليها من الوساوسِ والخطراتِ الفاسدةِ ما جَرَّت، وفيه أنزلَ اللهُ عَزَّ وجلَّ قولَه: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ﴾(الأنعام: **68**).

وعن سُليمان بن يَسَار أن رجلاً يُقال له: صَبيغٌ، قدم المدينةَ، فجعل يسألُ عن مُتشابِه القرآن؟ فأرسل إليه عُمَرُ رضى الله عنه وقد أَعَدَّ له عَراجيَن النَّخْل، فقال: مَنْ أنت؟ قال أنا عبدُ الله صَبيغٌ، فأخذ عُرْجُوناً من تلك العَراجين، فَضَرَبه حتى دمي رأسهُ، ثم تركَه حتى بَرَأَ ثم عاد ثم تَرَكَه حتى برأ، فدعي به ليعودَ، فقال: إن كنتَ تريدُ قتلى فاقتُلْني قتلاً جميلاً فَأَذِنَ له إلى أرضهِ، وكَتَبَ إلى أبي موسى الأشعريِّ باليمن: لا يُجَالِسْه أحدٌ من المسلمين. [رواه الدَّارِمي][267].

---

[266] – (ص100)

[267] – رواه الدارمي في مسنده رقم (146) (1/252-253) قال محققه :ورجاله ثقات ،غير أنه منقطع ،سليمان بن يسار لم يدرك عمر بن الخطاب ؛وأخرجه الآجري في الشريعة (ص75) .

وقيلَ: كان مُتَّهماً برأي الخوارج.

والنَّوَوِيُّ رحمه الله تعالى قال في كتاب "الأذكار": "باب: التَّبري من أهل البِدَع والمعاصي".

وذَكَرَ حديثَ أبي موسى رضى الله عنه:"أنَّ رسول الله ﷺ بَرِئَ من الصالقةِ، والحالقة، والشاقَّة". متفق عليه[268].

وعن ابن عُمَر براءَتَه من القَدَريةِ. رواه مسلم[269].

والأمرُ في هَجْرِ المُبتدع يَنْبَني على مُراعاة المصالِح وتكثيرِها وَدفْع المفاسدِ وتقليلِهَا، وعلى هذا تتزَّل المشروعيةُ من عَدَمِها؛ كما حرَّره شيخُ الإسلام ابن تيميَّة رحمه الله تعالى في مواضِعَ[270].

والمبتدعةُ إنما يَكْثُرون ويَظْهَرُون؛ إذا قلَّ العلمُ، وفشا الجهلُ.

وفيهم يقولُ شيخ الإسلام ابن تيميَّة رحمه الله تعالى:فإنَّ هذا الصَّنْفَ يكثُرون ويظهرون إذا كَثُرت الجاهليةُ وأهلُها، ولم يكن هناك من أهل العلم بالنبَّوة والمتابعةِ لهَا من يُظْهر أنوارَها الماحَية لظُلمةِ الضلالِ، ويكشفُ ما في خلافِها من الإفكِ والشِّرْكِ والمُحَالِ" اهـ. إذا اشتدَّ ساعدُك في العلم ؛ فاْقَمع المبتدعَ وبدعَته بلسانِ الحُجَّةِ والبَيَانِ، والسلامُ.

---

[268]- الصالقة: التي ترفع صوتها بالنياحة والندب ،والحالقة :التي تحلق رأسها عند المصيبة ،والشاقة : التي تشق ثوبها .

[269] -وانظر أبحاثا مهمة في:"مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية "رحمه الله تعالى (132/2، 14/5،459/119-11/460،36).

[270] - منها في:"مجموع الفتاوى"(216/28،213-218).

الفصل الرابع
أدب الزمالة

23- احْذَرْ قرينَ السُّوء:

كما أنَّ العِرْقَ دَسَّاس[271]؛ فإنَّ "أَدَبَ السَّوءِ دسَّاس"[272]، إذ الطبيعةُ نقَّالة، والطِّبَاع سَرَّاقة[273]، والنَاسُ كأسرابِ القَطَا مجبولون على تشُّبه بعضِهم ببعض، فاحْذَرْ مُعَاشَرَةَ مَنْ كان كذلك؛ فإنه العطَبُ "والدَّفْعُ أسهلُ من الرَّفْع"[274].

والوقاية خير من العلاج ،وقد أرشدك نبيك ﷺ لمخالطة الأخيار ،والفرار من الأشرار، إذ لايُجنى من الشوك العنب ففي:الصحيحين[275] من حديث أبي موسى ﷺ قال قال رسول الله ﷺ « مثل الجليس الصالح ،والجليس السوء ،كمثل صاحب المسك ،وكير الحدّاد ، لا يعدمك من صاحب المسك، إمّا تشتريه، أو تجد ريحه، وكير الحدّاد ،يحرق بدنك ،أو ثوبك ،أو تجد منه ريحا خبيثة »

---

271 – وفي ذلك حديث موضوع، انظر له:''العلل المتناهية''(123/2، 127)، و ''شرح الإحياء (348/5).

272 – شرح الإحياء (74/1).

273 – وقد قال العلماء إذا كانت معاشرة الحيوانات تكسب الطباع لمعاشرها فكيف بالإنسان وقد قال رسول الله ﷺ « الفخر والخيلاء في أهل الخيل والإبل والفدادين أهل الوبر ،والسكينة في أهل الغنم » خ(3308)وم(52).

274 – انظر التذكرة لابن جماعة (ص83).

275 – البخاري(569/9-570)، ومسلم (2628) .

وعليهِ؛ فتخيَّر للزّمالةِ والصداقةِ من يُعينك على مطلبك، ويُقَرِّبُك إلى ربِّك ويوافِقُك على شريفِ غَرَضِك ومقصدِك وخُذْ تقسيم الصَّديق في أدقِّ المعايير[276]:

1- صديقُ منفعةٍ.

2- صديقُ لذَّةٍ.

3- صديقُ فضيلةٍ.

فالأوَّلان مُنْقطعانِ بانقطاعِ مُوجِبِهما، المنفعــةُ في الأول واللَّــذة في الثاني.

وأمَّا الثالثُ فالتعويلُ عليه، وهو الذي باعِثُ صداقتهِ تبادُلُ الاعتقادِ في رسوخِ الفضّائل لدى كُلٍّ منهما.

وصديقُ الفضيلةِ هذا "عملةٌ صعبةٌ" يَعِزُّ الحصولُ عليها.

وهو الذي يصلح فيه قول القائل: الودّ الصّحيح هو الــذي لايميــل إلى نفــع ،ولايفسده منع؛ والمودّة أمن ،كما أنّ البغضاء خوف .

وكان ابن المبارك رحمه الله تعالى يرددكثيرا :

وإذا صحبت فاصحب ماجــدا ذاعفـــــاف ،وحيـــــاء ،وكـــرم

قوله للشيء لا،إن قـــــلت: لا وإذا قلـــــت :نعـــــم ،قال: نعم

ومن نفيسِ كلام هشامِ بنِ عبد الملك "م سنة 125هــ" قولُه[277]:

---

276 – محاضــرات إســلامية ''لمحمــد الخضــر حســين (ص125-136).وانظــر فــيض القــدير للمنــاوي (345/5)(405/6) .

277 – طبقات النسابين''(ص31).(م)وانظر قوله هذا وترجمته في السير للذهبي (351/5-352) أحد أمراء بني أمية .

"ما بَقِيَ من لذَّاتِ الدنيا شئٌ إلاَّ أخٌ أرفعُ مؤونَة التحفُّظ بيني وبَينه"ا هـــ.

وَمِن لطيفِ ما يُقَيَّدُ قَولُ بعضِهِم[278]:

"العُزلةُ من غيرِ عينِ العلم: زَلَّة ومنِ غير زاي الزُّهد: عِلَّة"

كان عبد الله بن عبد العزيز العمريّ [279] الزّاهد لايجالس النّاس ،ويترل مقبرة من المقابر ،وكان لايكاد يُرى إلا ومعه كتاب يقرؤه ،فسئل عن ذلـــك ،وعن نزوله المقبرة فقال :لم أر أوعظ من قبر ،ولاأمتع من كتاب ،ولاأسلم من الوحدة ،فقيل له :قد جاء في الوحدة ماجاء ! فقال :ماأفســـدها للجاهـــل ، وأصلحها للعاقل !

[278] –''العزلة'' للخطابي.

[279] – السير (375/8) .

الفصل الخامس
آداب الطالب في حياته العلمية

24- كِبَرُ الهِمَّة في العلمِ:

مِنْ سَجَايا الإسلامِ التَّحَلِّي بكِبَرِ الهِمَّةِ؛ مركزِ السالبِ والمُوجَبِ في شخصك، الرّقيب على جوارحِك، كِبَرُ الهِمَّة يجلبُ لك بإذن الله خيراً غيرَ مجذوذٍ[280]، لترقى إلى دَرجاتِ الكمال، فيُجري في عُروقك دمَ الشهامةِ، والركضَ في ميدان العِلْمِ والعَمَل، فلا يراك النّاسُ واقفاً إلا على أبوابِ الفضائلِ، ولا باسطاً يديك إلا لِمُهِمَّات الأمور.

والتحليِّ بها يسلُبُ منك سفاسِفَ الآمالِ والأعمال، ويجتثُّ منكَ شجرةَ الذُّلِّ والهوانِ والتملُّق والمداهَنة، فكبيُر الهمةِ ثابتُ الَجأْش، لا تُرْهِبُهُ المواقفُ، وفاقِدُها جبانٌ رِعْدِيدٌ[281]، تُغلق فَمَه الفهاهةُ[282].

ولا تَغْلط فتخلِطَ بين كِبَرَ الهمَّة والكِبْرِ، فإنَّ بينهما من الفرق كما بينَ السماءِ ذات الرَّجْعِ والأرض ذات الصَّدْعِ.

كِبَرُ الهمِّةِ حِلْيَةُ وَرَثَةِ الأنبياءِ، والكِبْرُ داء المرضى بعلَّة الجبابرةِ البُؤَسَاءِ.

---

[280] – غير مجذوذ: غير منقطع.

[281] – رعديد :أي جبان يرعد عند القتال جبنا .

[282] – الفهاهة :العي وعدم القدرة على البيان ؛ويضرب المثل في الفهاهة بباقل وهو رجل من ربيعة فيقال :إنه لأعيا من باقل ،ومن طريف مايحكى عنه أنه اشترى غزالة فسئل عن ثمن الشراء فأطلق الغزالة وأشار بأصابعه العشر ولسانه إلى أن الثمن أحد عشر درهما فانطلقت الغزالة هاربة .

فيا طالبَ العلمِ! ارْسُم لنفسك كِبَرَ الهمَّةِ، ولا تَنفلِتْ منه وقد أومأ الشرعُ إليها في فِقْهياتٍ تُلابس حياتَك؛ لتكون دائماً على يَقَظة من اغتنامِها، ومنها: إباحةُ التيمُّم للمكلَّف عند فَقْدِ الماء، وعدمُ إلزامهِ بقَبول هبةِ ثَمَن الماء للوضُوء؛ لما في ذلك من اِلمِنَّةِ التي تُنال من الهمَّة منالاً، وعلى هذا فَقِسْ[283]، والله أعلمُ.

ولقد كان الإمام الشافعي رحمه الله تعالى يقول :لوأعلم أن البارد يجرح مروئتي لما شربته .ومن لطيف ماقاله الإمام أبونصر أحمد بن علي الزوزني في دفع الذلة عن نفسه :

ولاأَقْبَلُ الدنيا جميعا بذلّة ولا أشتري عزّ المراتب بالذلّ
وأعشق كحلاء المدامع خِلْقَةً لئلا تُرَى في عينها مِنَّة الكحل

25- النَّهْمَةُ في الطَّلَب:

ودليلك قولُ ابنِ عباس رضي الله عنهما:منهومان لايشبعان:طالب علم، وطالب مال.[284]

وقال سهل بن عبدالله التستري وقد رأى أصحاب الحديث :اجهدوا ؛أن لاتلقوا الله إلا ومعكم المحابر[285].

---

[283] -- السعادة العظمى لمحمد الخضر حسين (ص76-78). وانظر صفحات من صبر العلماء لأبي غدة (368)

[284] – رواه ابن أبي خيثمة في العلم (141)، والدارمي موقوفا(108/1) ،قال الألباني صحيح ؛كما في صحيح الجامع (6624)

وروي مرفوعا.

[285] –السير للذهبي (332/13).

يقول العلامة الواعظ المحدث النِّحرير أبو الفرج عبد الرحمن ابن الجوزي[286] رحمه الله تعالى (ت597):من علامة كمال العقل :علوّ الهمة ،والرّاضي بالدون دنيّ.

إذا ماعلا المرء رام العلى ويقنع بالدّون من كان دونا

ومابتلي الإنسان قطّ بأعظم من علوّ همّته ،فإنّ من علت همّته يختار المعالي ،وربّما لايساعد الزّمان ،وقد تضعف الآلة ،فيبقى في عذاب،وإنّي أعطيت من علوّ الهمّة طرفا ،فأنا به في عذاب ،ولاأقول ليته لم يكن ،فإنّه إنّما يحلو العيش بقدر عدم العقل ، والعاقل لايختار زيادة اللّذة بنقصان العقل ،ومن رزق همّة عالية يعذّب بمقدار علوّها كما قال الشاعر :

وإذا كانت النفوس كبارا تعبت في مرادها الأجسام .

ويرحم الله تعالى يحي بن أبي كثير حيث قال :لاينال العلم براحة الجسم[287].

وانظر همة علماء السلف من الصحابة رضي الله عنهم فمن بعدهم يقول ابن عباس رضي الله عنهما :

لما قبض رسول الله ﷺ قلت لرجل من الأنصار : هلم فلنسأل أصحاب رسول الله ﷺ ، فإنهم اليوم كثير ، فقال : و اعجباً لك يا ابن عباس ، أترى الناس يفتقرون إليك و في الناس من أصحاب رسول الله ﷺ من فيهم ؟ قال : فتركت ذاك و أقبلت أسأل أصحاب رسول الله ﷺ ، و إن كان يبلغني الحديث عن الرجل فآتي بابه و هو قائل فأتوسد ردائي على بابه

---

[286] – صيد الخاطر لابن الجوزي .وعنه انظر صفحات من صبر العلماء ص(141-142-143-144).

[287] – أخرجه مسلم في باب أوقات الصلوات الخمس (113/1).

يسفي الريح علي من التراب ، فيخرج فيراني فيقول : يا ابن عم رسول الله ﷺ ، ما جاء بك ؟ هلاّ أرسلت إلي فآتيك ؟ فأقول : لا أنا أحقّ أن آتيك.

قال : فأسأله عن الحديث .

فعاش هذا الرجل الأنصاري حتّى رآني و قد اجتمع النّاس حولي يسألوني ، فيقول هذا الفتى كان أعقل مني[288] .

هذا حديث صحيح على شرط البخاري، و هو أصل في طلب الحديث و توقير المحدث .

إذا علمتَ الكلمةَ المنسوبة إلى الخليفةِ الرَّاشدِ علي بن أبي طالبٍ رضى اللهُ عنه: "قيمة كل امرئ ما يحسنه" وقد قيلَ: ليس كلمةٌ أحضَّ على طَلَب العلم منها؛

"بل أحض كلمة على طلب العلم وأحسن قوله تعالى « قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لايعلمون » وقوله تعالى : « يرفع الله الذين ءامنوا منكم والذين أوتو العلم درجات » وقول النبي ﷺ « من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين » وغير ذلك مما ورد ،لكن لاشك أنها ليست أحسن ماقيل في الحث على طلب العلم إلا أنها كلمة جامعة "[289]؛

فاحْذَر غَلَطَ القائل: ما تركَ الأولُ للآخِرِ. وصوابه: كم تركَ الأولُ للآخِرِ!

---

[288] – رواه الحاكم وقال صحيح على شرط البخاري ،ورواه الدارمي .

[289] – من كلام الشيخ ابن عثيمين في شرح الحلية (ص108) بتصرف يسير.

قال ابن مالك في ترجمة التسهيل: إذا كانت العلوم منحا إلهية ،ومواهب اختصاصية ،فغير مستبعد أن يدّخر لبعض المتأخّرين ما عسر على كثير من المتقدّمين..[290].

فعليك بالاستكثارِ من ميراثِ النبِّي [291]ﷺ ،وابذُلِ الوُسْعَ في الطَّلَبِ والتحصيل والتدقيقِ، ومهماَ بَلَغْتَ في العلمِ؛ فتذكّر:"كَمْ ترك الأولُ للآخِرِ"!

وفي ترجمة أحمد بن عبد الجليل من "تاريخ بغداد" للخطيب ذكرٌ من قصيدةٍ له:

لا يكونُ السَّريُّ[292] مِثْلَ الّدنِّيِّ	لا ولا ذُو الذَّكاء مثلَ الغَبيِّ
قيمةُ المَرْءِ كُلَّما أحسنَ المَرْ	ءُ قضاءً مِنَ الإمامِ علىٍّ

26 – الرحلة للطلب:

"من لم يكن رُحْلَةَ[293] لن يكون رُحَلَة"[294].

فمن لم يَرْحل في طَلَب العلم؛ للبحثِ عن الشُّيوخ، والسياحةِ في الأخْذِ عنهم؛ فَيَبْعُدُ تأهُّلهُ لِيُرْحَلَ إليه؛قيل لأحمد بن حنبل :رجل يطلب العلم

---

[290] – وانظر مقدمة الشيخ محمد الحبيب ابن الخوجة لكتاب المدخل للشيخ بكر بن عبدالله ج/1/(د).

[291] – قال سهل بن عبد الله التُّسْتَرِي رحمه الله تعالى :من أراد الدنيا والآخرة فليكتب الحديث ،فإن فيه منفعة الدنيا والآخرة)السير (331/13).

[292] –السري :الكريم والسيد،والدني :الخسيس الخبيث البطن والفرج الماجن.

[293] – رحلة بالضم فسكون بمعنى الارتحال .ورُحلة بضم ففتح بمعنى يرحل إليه .

[294] – تذكرة السامع والمتكلم (70)، وانظر (الفتح159/1) .

،يلزم رجلا عنده علم كثير أويرحل ؟قال :يرحل ،يكتب عن علماء الأمصـــار ،فيشامّ النّاس ويتعلّم منهم اهـــ.

ونقل الخطيب في الجامع عن بعضهم قال :لاينال هذا العلم إلاّ من عطّل دكانه ،وخرب بستانه ،وهجر إخوانه ،ومات أقرب أهله فلم يشهد جنازتـــه ،قال ابن جماعة:وهذا وإن كانت فيه مبالغة ،فالمقصود به أنه لابّدفيه من جمـــع القلب واجتماع الفكر[295] ؛

ويسجل لنا عالم من عظماء هذه الأمة وهو الحافظ ابن عساكر رحمه الله تعالى كيف كانت رحلاته في الطلب فيقول[296] :

وأنا الذ ي سافرت في طلب الهدى سفرين بين فَـــــدَافِدٍ وتَنَائِـــــف
وأنا الذي طوّفـــت غـــيرَ مدينـــة من اصبهان إلى حدود الطائـــــف
الشّرقُ قد عاينـــت أكْثـــر مُدْنِـــه بعد العراق وشامنا المتعـــــــارف
وجمعت في الأسفار كـــلّ نفيســـة ولقيت كلّ مخـــــالف ومـــؤالف
وسمعت سنّة أحمدَ مـــن بعـــد مـــا أنفقت فيهـــا تالدي مع طـــارفي

---

[295] – التذكرة لابن جماعة (ص071) .وتدبر يارعاك الله رحلة الكليم موسى عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة وأزكى السلام ،وللصحابة أخبار في رحلاتهم لطلب الحديث والمسائل كقصة جابر بن عبدالله ،وفي التابعين جلة وهكذا في كل زمان) وانظر أمثلة على ذلك في الفتح(1/210-211-212) .

[296] – تبيين المفتري ص(431).

ولأنَّ هؤلاء العُلَمَاءَ الذين مَضَى وقتٌ في تعلُّمهم، وتعليمهم، والتَّلَقِّي عنهم: لديهم من التّحريرات، والضَّبْطِ، والنُّكات العلمية[297]، والتَّجارِب، ما يَعِزُّ الوقوفُ عليه أو على نظائرهِ في بطون الأسفار[298].

"يقول الشيخ العلاّمة الإبراهيمي – شيخ علماء الجزائر – رحمه الله تعالى :إنّ أسلافكم كانوا يعدّون الرّحلة في سبيل العلم من شروط الكمال فيه ،بل كانوا – في دولة الرّواية ، يعدّون الرّحلة للقاء الرّجال من شروط الوجوب ،فكانوا يقطعون البراري والصّحاري والقفار ،ويلقون في سبيله المعاطب والأخطار ،وكانوا يجوعون في سبيله، ويعرون ،ويظمأون ويضحون ،لايتشَكُّون الفاقة والنَّصَب ، ولايعون الرّاحة إلاّ التّعب ،ولكنّهم لايضيعون أوقاتهم – إذا وصلوا إلى أمصار العلم ولقوا رجاله – في مثل ماتُضيِّعون فيه أوقاتكم من إسفاف ولغو ،بل كانوا يحاسبون أنفسهم على الدّقيقة أن تضيع إلاّ في استفادة وتحصيل ،فتعالوا نقارن سيرتكم بسيرتهم ،وتحصيلكم ،ثم نتحاسب على النتيجة كانوا يقيّدون وأنتم لاتقيّدون ،وكانوا ينسخون الأصول بأيديهم ويضبطونها بالعَرْضِ والمقابلة حرفا حرفا، وكلمة كلمة ،وأنتم أراحتكم المطابع ،ويسّرت لكم الكتب ،ورُبَّ تيسير جلب التّعسير ، فإنّ هذا التّيسير رمى العقول بالكسل ،والأيدي بالشّلل ،حتّ لاتجريَ في إصلاح الأغلاط المتفشيّة في الكتب

---

[297] – النكات جمع نكتة ،وهي مسألة لطيفة، أخرجت بدقة نظر، وإمعان فكر؛ من نكت رمحه بالأرض إذا أثر فيها ،وسميت المسألة الدقيقة نكتة لتأثير الخواطر في استنباطها .التعريفات للجرجاني (220) .

[298] – الأسفار جمع سفر وهو الكتاب الكبير .وانظر معجم المناهي اللفظية للشيخ بكر ص(297)حرف السين.

...الحقيقة أنّنا لانسمي رحلتنا اليوم رحلة إلاّ بضرب من التّوسع ،كما نسمّي السفر بالطائرة سفرا ،ونضعه بجنب السفر على الإبل [299] اهـ.

واحْذر القُعودَ عن هذا على مسلك المُتَصَوِّفة البطَّالين، الذين يُفَضِّلون "علْم الخِرَق" على "علم الورق".

وقد قيل لبعضهم: ألا ترحلُ حتى تسمعَ من عبد الرزّاق ؟ فقال ما يصنعُ بالسماعِ مِنْ عبد الرزّاق مَنْ يسمعُ من الخلاقِّ ؟!

وقال آخَرُ:

إذا خَاطَبُوني بعِلْمِ الوَرَق بَرَزْتُ عَلَيْهِم بِعِلْمِ الْخِرقَ

"يقول ابن الجوزي [300]قال جعفر الخلدي : لوتركني الصّوفية، جئتكم بإسناد الدنيا، لقد مضيت الى عباس الدوري ،وأنا حَدَث ،فكتبت عنه مجلسا واحدا وخرجت من عنده، فلقيني بعض من كنت أصحبه من الصوفية، فقال :إيش هذا معك فأريته إيّاه فقال ويحك ! تَدَعُ علم الخِرق، وتأخذ علم الورق ،ثمّ خرّق الأوراق، فدخل كلامه في قلبي، فلم أعد إلى عباس،،،، وبلغني عن أبي سعيد الكندي قال: كنت أنزل رباط الصوفية ،وأطلب الحديث في خفية، بحيث لا يعلمون فسقطت الدواة يوما من كمّي، فقال لي بعض الصوفية استر عورتك" ؛ قلت :الأولى لهم أن يستروا عوراتِ جهلهم ،وبعدهم عن شريعة الله تعالى ،فانظر أخي إلى هؤلاء قطّاع الطريق ،الذين وقفوا باسم الزّهد والتربية

---

[299] – آثار البشير الإبراهيمي (/215 إلى 218).

[300] – تلبيس إبليس لابن الجوزي (390-391)والبيت للشبلي .

،أمام العلم والتزكية الصحيحة، فلا تغرنك بزاتهم ،وكثرة المغترين الهالكين الذين سلكوا طريقهم ،وعليك بالعتيق.

فاحْذَر هؤلاء؛ فإنّهم لا للإسلامِ نَصَروا، ولا للكُفْر كَسَروا، بل فيهم من كان بأساً وبلاءً على الإسلامِ.

27- حِفْظُ العلمِ كتابَة(301):

ابذُلِ الجُهْدَ في حفظ العلم (حفظَ كتابٍ)، لأنَّ تقييدَ العلم بالكتابةِ أمانٌ من الضَّياع، وقَصْرٌ لمسافةِ البحث عند الاحتياجِ، لا سيَّما في مسائل العلم التي تكونُ في غير مظانِّها، ومن أَجَلِّ فوائده أنه عند كِبَرِ السنِّ وضَعْف القوى يكون لديك مادَّةٌ تَسْتَجِرُّ منها مادَّةً تكتبُ فيها بِلا عناءٍ في البحث والتقصِّي.

"قال الخطيب[302] :فلما أمر الله تعالى بكتابة الدَّين حفظا له ،واحتياطا عليه ، وإشفاقا من دخول الريب فيه ، كان العلم الذي حفظه أصعب من حفظ الدين ،أحرى أن تباح كتابته خوفا من دخول الريب والشك فيه ..."

ولذا؛ فاجعل لك (كُنَاشاً)[303] أو (مُذَكّرة) لتقييد الفوائدِ والفرائدِ والأبحاثِ المنثورَةِ في غير مظانِّها، وإنِ استعملتَ غلافَ الكتاب لتقييدِ ما فيه من ذلك، فَحَسنٌ، ثم تنقل ما يجتمعُ لك بَعْدُ في مذكّرة؛ مرتباً له على

---

301 - الجامع للخطيب (16/2، 183-185).

302 -تقييد العلم للخطيب البغدادي (ص71)

303 -(الكُنَاش-بضم الكاف، وتخفيف النون، وشين معجمة، على وزن (غراب)؛ لفظ سرياني؛ بمعنى: المجموعة، والتذكرة. وانظر "التراتيب الإدارية (270/2). (م) وللشيخ العلامة عبد السلام هارون كلام حول أصل الكناشة في كتابة (كناشة النوادر)انظر ص(9-10) ط/دار الطلائع /القاهرة.

الموضوعاتِ، مُقَيِّداً رأسَ المسألة، واسْمَ الكتابِ، ورقَم الصفحة والُمجَلَّد، ثم اكْتُب على ما قَيَّدْتَهُ:"نُقِلَ"؛ حتى لا يختلطَ بما لم يُنْقَل؛ كما تكتبُ:" بَلَغَ صفحة كذا " فيما وَصَلْتَ إليه من قراءةِ الكتاب حتى لا يفوتَك ما لم تبلُغْه قراءةً .

وللعُلماء مؤلفاتٌ عدَّة في هَذا؛ منها: "بدائع الفوائد" لابن القيِّم، و "خبايا الزاويا" للزَّرْكَشي، ومنها: كتاب "الإغفال" و "بقايا الخبايا" وغيرها.

وعليه فَقَيِّدِ العلمَ بالكتاب[304]، لا سيَّما بدائعَ الفوائدِ في غير مظانِّها، وخَبايا الزوايا في غير مساقِها، وُدَرراً منثورةً تراها وتسمعُها تخشى فواتَها.. وهكذا؛ فإنَّ الحفظَ يضعُفُ، والنِّسْيان يَعْرِضُ.

قال الشَّعْبي: "إذا سمعتَ شيئاً، فاكْتُبْه، ولو في الحائِط[305]". رواه خَيْثَمةُ.

وإذا اجتمع لديك ما شاء اللهُ أن يجتمعَ؛ فَرَتِّبْه في (تذكِرة) أو (كُنَاش) على الموضوعاتِ، فإنَّه يُسْعِفُكَ في أضيقِ الأوقاتِ التي قد يَعْجَزُ عن الإدراكِ فيها كبارُ الأثباتِ.

روى الخطيب عن أبي حاتم أنه كان يقول"إذا كتبت فَقَمِّشْ ،وإذا حَدَّثْتَ فَفَتِّش"[306]

---

[304] – وقد صحَّ نحوُ هذا الأمر مرفوعاً إلى النبي ﷺ ، فانظره في "السلسلة الصحيحة، (رقم 2026).بلفظ (قيدوا العلم بالكتاب).من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما ورواه الدارمي (138/1).

[305] – وهو مروي عن الضحاك كما في بيان جامع العلم وفضله (72/1).

[306] – الخطيب بسنده في الجامع (220/2) ،قمش :أي اكتب كل ماتجده من الفوائد والحكم ،وأما إذا أردت أن تحدث فعليك بالتفتيش على صحة الأحاديث وتخريجها ،وعزو الأقوال إلى أهلها ،فذاك أدعى لقبولها والاطمئنان

قال الشاعر :

العلم صيد والكتابة قيده قيد صيودك بالحبال الواثقة
فمن الحماقة أن تصيد غزالة وتتركها بين الخلائق طالقة

وقال آخر :

ياطالب العلم إذا سمعته من الثقة فاكتبه محتاطا ولو بخنجر في حدقة
فرب علم فات من ضيعه أن يلحقه

فكم من فائدة سمعها الإنسان في درس ،أو عن طريق الشّريط و لم يكتبها إلاّ وأصابه النّدم، ويقول (ياليتني كتبتها) ، وأيضاً كم من فائدة قرأها الإنسان وترك تدوينها إلاّ وتمنّ أن يكون كتبها قال يحيى بن سعيد : (لأن أكون كتبت ما أسمع أحب إلي أن يكون لي مثل مالي)[307] .

وماذا قال السلف عن كتابة العلم ؟ قال الحسن : إن لنا كتباً نتعاهدها[308].

و قال الخليل بن أحمد : اجعل ما تكتب بيت مالٍ ، وما في صدرك للنفقة[309] .

على علو كعبها .

[307] – تقييد العلم (ص111) .

[308] – جامع بيان العلم وفضله (325/1) .

[309] – المرجع السابق 326/1) .

وقال سليمان بن موسى : يجلس إلى العالم ثلاثة : رجل يأخذ كلّ ما يسمع فذلك حاطب ليل ، ورجل لا يكتب ولا يسمع ، فيقال له جليس العالم ،ورجل ينتقي قالوا : وهذا خيرهم[310] .

28- حِفْظُ الرِّعَايَةِ:

ابْذُلِ الوُسْعَ في حفظِ العلمِ (حِفْظَ رعايةٍ) بالعملِ والاتِّباعِ؛

قال ابن عيينة : أجهل الناس من ترك مايعلم ،واعلم الناس من عمل بما يعلم ،وأفضل الناس ،أخشعهم لله "[311].

قال الخطيبُ البغداديُّ رحمه الله تعالى[312]:

"يجبُ على طالبِ الحديثِ أن يُخلص نِيّته في طَلَبِهِ، ويكونَ قصدُه وَجْهَ الله سبحانه.

وَلْيَحْذَرْ أن يجعلَه سبيلاً إلى نَيْل الأَعْراض[313]، وطريقاً إلى أخذ الأَعْواض؛ فقد جاء الوعيدُ لمن ابْتَغى ذلك بعلمه.

قال الله تعالى : « فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا فويل لهم مما كتبت أيديهم وويل لهم مما

---

[310] – جامع بيان العلم (328/1) .

[311] الدارمي (1/ 96) .

[312] – الجمع للخطيب"(142/1،87،85،83،81).

[313] – الأعراض : جمع عرْض بوزن فلس المتاع وكل شيء عرض إلا الدراهم والدنانير فإنها عين .

يكسبون [314] » الآية ،وقال : « أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسهم وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون »[315] ؛

وقال عليه الصلاة والسلام « من طلب العلم ليماري به السفهاء ،أوليباهي به العلماء ،أوليصرف وجوه النّاس إليه فهو في النّار »[316] .

وَلْيَتَقِّ المُفاخرة والمُباهاةَ به، وأن يكونَ قصدُه في طَلَب الحديثِ نَيْلَ الرّئاسةِ واتِّخاذَ الأتْباعِ وعَقْدَ المجالس؛ فإنَّ الآفة الدّاخلةَ على العُلماء أَكْثَرُهَا من هذا الوَجْهِ.

وَلْيَجْعل حِفْظَه للحديث حِفْظَ رعايةٍ لا حفظَ روايةٍ، فإنَّ رُواةَ العلومِ كثيرٌ، ورُعاتَها قليلٌ، ورُبَّ حاضرٍ كالغائبِ، وعالمٍ كالجاهلِ، وحاملٍ للحديثِ ليس معه منه شيءٌ إذ كان في إطِّراحِه لحُكْمِه بمنزلةِ الذاهبِ عن معرفتهِ وعلمهِ.

وينبغي لطالبِ الحديثِ أن يتميَّز في عامَّة أموره عن طرائقِ العَوَامِّ باستعمالِ آثارِ رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أَمْكَنَه، وتوظيفِ السُّنَن على نفسه[317]، فإنَّ اللهَ تعالى يقول: (لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ)[318].اهـ.

---

[314]- الآية (79) من سورة البقرة .

[315]- الآية (44)من سورة البقرة .

[316]- رواه الترمذي (2654) وقال هذا حديث غريب ،ورواه ابن ماجة (253) وحسّنه الألباني .

[317] – ومن لطيف مايذكر أن الإمام أحمد رحمه الله تعالى في فتنة خلق القرآن اختفى عند رجل من أصحابه ثلاثة أيام ثم قال له ابحث لنا عن مكان آخر فقال له صاحبه أنت مطلوب ولاآمن عليك من العيون ،فقال الإمام لاينبغي أن أزيد عن ثلاثة أيام لأن النبي صلى الله عليه وسلم اختفى في غار ثور ثلاثة أيام ،فانظر إلى قمة الاتباع.

[318]- الاية (21) من سورة الأحزاب .

29- تعاهُدُ المحفوظاتِ:

تَعَاهَدْ عِلْمَكَ من وقتٍ إلى آخَرَ، فإنَّ عَدم التّعاهُدِ ، عنوانُ الذّهابِ للعلمِ مهما كان.

" قال الأوزاعيّ عن الزهريّ :آفة العلم النّسيان ،وقلّة المذاكرة "،وأنفع دواء بعد تقوى الله عزّ وجلّ ،المداومة على المطالعة ،والنّهمة في البحث ،وقد قيل للبخاري رحمه الله تعالى أي دواء تستعمله للحفظ قال : مارأيت أفضل من الهمّة ،مع دوام النظر ،في كلام هذا معناه.

عن ابن عُمر رضى الله عنهما أَنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "إنَّما مَثَلُ صاحِبِ القرآن كَمَثل صاحبِ الإبل المُعْقَلَة، إنْ عاهَدَ عليها؛ أَمْسَكَهَا، وإنْ أَطْلَقَهَا؛ ذهبت". رواه الشيخانِ، ومالكٌ في "الموطَّأ".

قال الحافظُ ابنُ عبد البَرِّ رحمه الله[319]: "وفي هذا الحديثِ دليلٌ على أنَّ من لم يتعاهَدْ عِلْمَهُ؛ ذهب عنه أَيْ مَنْ كان؛ لأنَّ عِلْمَهم كان ذلك الوَقْتَ القُرْآنُ لا غير، وإذا كان القُرْآنُ المُيَسَّر للذِّكر يذهبُ إن لم يُتَعَاهَد؛ فما ظنُّك بغيره من العلومِ المعهودةِ؟!

وخيرُ العلوم ما ضُبِطَ أصلُه، واسْتُذْكِر فَرْعُه، وقادَ إلى اللهِ تعالى، ودَلَّ على ما يرضاه" اهـ.

وقال بعضُهم[320]: ((كُلُّ عِزٍّ لم يُؤَكَّدْ بعلمٍ؛ فإلى ذلٍّ مصيرهُ)) اهـ.

---

[319] - التمهيد"(14/133-134).

[320] - شرح الإحياء (1/93).

30- التفقُّهُ بتخريجِ الفُروع على الأُصولِ:

من وراء الفقهِ: التفقُّهُ، ومُعْتَمِلُهُ هو الذي يُعَلّق الأحكامَ بمَدَارِكها الشرعيَّةِ.

وفي حديثِ ابن مَسْعود[321] رضى الله عنه: أَنَّ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم قال: ((نَضَّر اللهُ امْرَءاً سَمِعَ مقالَتي فَحَفِظَها، وَوَعَاها، فَأَدَّاهَا كما سَمِعَها، فَرُبَّ حاملِ فقهٍ ليسَ بفقيهٍ، ورُبَّ حاملِ فقهٍ إلى مَنْ هو أَفْقَهُ منه)).

قال ابنُ خَيْر[322] رحمه اللهُ تعالى في فِقْهِ هذا الحديث:"وفيه بيانُ أنَّ الفِقْهَ هو الاستنباطُ والاستدراكُ في معاني الكلام من طريق التفهُّم، وفي ضِمْنِه بيانُ وجوب التفقُّه، والبحثُ على معاني الحديثِ، واستخراجُ المكنون من سِرِّه "ا هـ.

وللشَّيْخَيْنِ؛ شَيْخُ الإسلام ابن تيمَّية، وتليمذه ابن قَيِّمِ الجَوْزِيَّةِ رحمهما الله تعالى، في ذلك القِدْحُ المُعَلَّى، ومَنْ نَظَر في كُتُب هذين الإمامينِ؛ سلك به النَّظَرُ فيها إلى التفقُّه طريقاً مستقيماً.

ومِنْ مليحِ كلام ابن تيميَّة رحمه الله تعالى قولهُ في مجلسٍ للتفقُّه[323]:

---

321 - رواه أحمد (4157) والترمذي (124/10) وابن ماجه (85/1) بسند صحيح وهو حديث متواتر.

322 - (1) في فهرسته"(ص9).

323 - مجموع الفتاوى"(534/21).

"أما بعدُ؛ فقد كُنَّا في مجلس التفقُّهِ في الدين والنَّظَرِ في مدارك الأحكام المشروعةِ؛ تَصْويراً، وتَقْريراً وتَأْصيلاً، وتَفْصيلاً، فَوقَعَ الكلامُ في .... فأقولُ لا حَوْلَ ولا قُوَّةَ إلا بالله، هذا مبنٌّى على أصلٍ وفصلين..."

واعْلَمْ أرشدك اللهُ أنَّ بين يدي التفقُّه: (التَّفَكُّرَ)[324]، فإنَّ اللهَ سبحانه وتعالى دعا عَبَادَه في غيرِ ما آيةٍ من كتابه إلى التحرُّكِ بإجالةِ النَّظَرِ العميقِ في (التفكرُّ) في مَلَكُوتِ السماواتِ والأرضِ وإلى أن يُمْعِنَ المرءُ النَّظَرَ في نفسهِ، وما حولَه؛ فتحاً للقوى العقليَّةِ على مِصْراعَيْها، وحتى يصلَ إلى تقويةِ الإيمانِ وتعميقِ الأحكامِ، والانتصارِ العلميِّ: ﴿كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾، ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَفَلا تَتَفَكَّرُونَ﴾

وعليهِ فإنَّ "التفقُّه" أبعدُ مدىً من (التفكُّر) ؛ إذ هو حصيلتهُ وإنتاجُه، وإلاَّ (فَمَالِ هَؤُلاءِ الْقَوْمِ لا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثاً). "[325].

لكن هذا التفقُّه محجوزٌ بالبرهان، محجورٌ عن التشهِّي والهوى:

﴿وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلا نَصِيرٍ﴾ (البقرة:**120**).

فيا أيُّها الطالبُ! تَحَلَّ بالنظرِ والتفكُّرِ ،والفقهِ والتفقُّهِ؛ لعلَّك أَنْ تتجاوَزَ مِنْ مرحلةِ الفقيهِ إلى (فقيهِ النَّفْسِ) كما يقولُ الفقهاء، وهو الذي

---

[324] –"مفتاح دار السعادة"(ص196-324) و"مدارج السالكين"(146/1)، والتفسير الإسلامي للتاريخ "لعماد الدين خليل (ص210-215).

[325] – هناك اصطلاحات لعلك تستفيد منها :الإدراك :هو وصول النفس إلى المعنى بتمامه ،فإن وصلت إليه لابتمامه فهو الشعور. الفكر :هو حركة النفس في المعقولات .أما حركتها في المحسوسات فتخييل . نثر الورود شرح مراقي السعود(70/1-71) .

يعلِّقُ الأحكامَ بمداركِها الشرعيةِ، أو (فقيهِ البَدَن) كما في اصْطِلاحِ المُحَدِّثين[326].

(إذا المرء كانت له فكرة ففي كل شيء له عبرة)

يقول الشيخ سلمان العودة[327] : فقه النفس :هو تدربّ النّفس في مجال الظّنون ،ومآخذ الأحكام الشرعية ،لأنّ التّعامل مع النّصوص الشرعيّة من القرآن والسنّة يحتاج إلى عقل ،وفقه،وممارسة،ودراية بقواعد الشريعة ومقاصدها،وخبرة باللغة العربية ومناحي القول فيها.

فَأَجِلِ النَّظَرَ عند الواردات بتخريجِ الفروعِ على الأُصولِ، وتمامِ العنايةِ بالقواعدِ والضوابط[328].

وَأَجْمِعْ للنَّظَرِ في فَرْعٍ ما بين تتبُّعِه وإفراغِه في قالَبِ الشريعةِ العامِّ من قواعدِها وأصولِها المُطَّرِدَةِ؛ كقواعدِ المصالحِ

(فإن تزاحم عدد المصالح يقدم الأعلى من المصالح

وضدّه تزاحم المفاسد يرتكب الأدنى من المفاسد

---

326 – وانظر عن قولهم:"فقيه البدن"،"معالم الإيمان"(2/340،336) والثقات "لابن حبان (9/242).

(م)أورد اللفظ في ترجمة هارون بن حميد أبو موسى الشاشي يروى عن أبي الوليد وسليمان بن حرب روى عنه أهل بلده مات سنة ست وستين ومائتين وكان فقيه البدن . وانظر كلام ابن القيم في كتابه الطرق الحكمية (1/4)ط المدني القاهرة .

327 – مزالق في طريق الطلب للشيخ سلمان بن فهد العودة (ص23) .

328 تعريف القاعدة : قضية كلية منطبقة على جميع جزئياتها (تعريفات علي الجرجاني (177) .وقيل :حكم أكثري لاكلي ينطبق على أكثر جزئياته لتعرف أحكامها منه "غمز عيون البصائر شرح الأشباه والنظائر للحموي (ص 22) وعنهما نقل صاحب الوجيز في إيضاح قواعد الفقه الكلية (ص14-16) .مؤسسة الرسالة .

وأما الضابط :فيكون لمسائل محصورة معينة ،فهو أقل رتبة من القاعدة .

ودَفْعِ الضَّرَرِ والمشقّةِ، وجَلْبِ التيسيرِ(في كل أمر نابه التعسير)، وسَدِّ باب الحِيلِ، وسدِّ الذرائع[329].

وهنا خمس قواعد ينبغي على الطالب أن تكون نصب عينيه ؛ وقد نظمها صاحب المراقي بقوله :

قد أُسِّسَ الفِقْهُ على رفع الضَّرَرْ، وأنَّ مايَشُقُّ يجْلُبُ الوطر
ونفْيُ رَفْعِ الْقَطْعِ بالشَّكِّ، وأن يُحَكَّمَ العُرف، وزاد من فطَن
كونَ الأمور تبعُ المقاصد مـعْ تكلّف ببعض وارد

وهكذا هُدِيتَ لِرُشْدِك أبداً فإنَّ هذا يُسْعِفُك في مواطنِ المضايقِ وعليك بالتفقُّه كما أسلفتُ – في نُصوصِ الشَّرْع، والتبصُّر فيما يَحُفُّ أحوالَ التشريعِ، والتأمُّلِ في مقاصدِ الشريعةِ، فإنْ خلا فَهْمُك من هذا، أو نَبَا سَمْعُكَ، فإنَّ وَقْتَك ضائعٌ ،وإنَّ اسْمَ الجهلِ عليك لَوَاقِعٌ.

وهذه الخَلَّةُ بالذاتِ ،هي التي تُعطيك التّمييزَ الدّقيقَ ،والمِعْيَارَ الصّحيحَ لِمدى التّحصيلِ والقُدرةِ على التّخريجِ: فالفقيهُ هو مَن تَعْرِضُ له النّازلةُ لا نَصَّ فيها ،فيقتبسُ لها حُكْماً.

والبلاغيُّ ليس مَنْ يذكُرُ لك أقسامَها وتفريعاتِها، لكنَّه مَنْ تَسْرى بصيرتهُ البلاغيَّةُ في كتابِ اللهِ، مَثَلاً فيخرُج من مكنونِ علومهِ وجوهها، وإنْ كَتَبَ أو خَطَب نَظَمَ لك عِقْدَها.

---

329 – انظر رسالة لطيفة في القواعد الفقهية للسعدي رحمه الله تعالى . ولتلميذه البر ابن عثيمين الأغر رحمه الله تعالى منظومة له وبشرحه مطبوعة ، كما أن هناك مؤلفات كثيرة في القواعد الفقهية منها :الفروق للقرافي ،والأشباه والنظائر لابن نجيم ،وآخر لابن رجب وغيرها كثير؛ ومن المعاصرين :الوجيز للبورنو ،والقواعد الفقهية للندوي وغيرها .

وهكذا في العلومِ كَافَّةً.

31- اللُّجوءُ إلى اللهِ تعالى في الطَّلَب والتَّحْصيلِ:

لا تَفْزَعْ إذا لم يُفْتح لك في علمٍ من العلومِ؛ فقد تعاصت بعضُ العلوم على بعض الأعلام المشاهير، ومنهم من صَرَّح بذلك كما يُعلم من تراجِمهم، ومنهم: الأصْمعيُّ في علم الْعَروض، والرُّهاويَّ المُحَدِّث في الَخطِّ، وابن الصلاح في المنطق، وأبو مسلم النَّحْوي في علم التصريف، والسُّيوطي في الحِساب، وأبو عُبيدة، ومحمَّد بن عبد الباقي الأنصارى، وأبو الحَسَن القَطيعي وأبو زكريا يحيى بن زياد الفَرَّاء، وأبو حامد الغَزَالي، خمستُهم لم يُفْتح لهم بالنَّحْوِ.

قال ابن جماعة رحمه الله تعالى :في فصل أدب العالم مع طلبته :"وإذا علم أوغلب على ظنّه أنّه لايفلح في فنّ ،أشار عليه بتركه، والانتقال إلى غيره ،مما يرجى فيه فلاحه"[330].

قال الشاعر :

إذا لم تستطع علما فدعه وجاوزه على ماتستطيع

وقال آخر :

فسل الفقيه تكن فقيها مثله لاخير في علم بغير تدبر

وإذا تعسرت الأمور فأرجها وعليك بالأمر الذي لم يعسر[331]

---

[330] –تذكرة السامع والمتكلم ص(57).

[331] – انظر قواعد وفوائد في كيفية طلب العلم لأخينا الشيخ صالح زنداقي ص(29) مخطوط .

فيا أيُّها الطالبُ! ضاعِفِ الرَّغْبَةَ، وأفْزَع إلى اللهِ في الدُّعاءِ واللجــوءِ إليه والانكسارِ بين يديهِ.

ولقد كان المصطفى ﷺ « إذا حزبه أمر فزع إلى الصلاة »[332] ،

وكان شيخُ الإسلام ابنُ تيميَّةَ رحمه الله تعالى كثيراً ما يقولُ في دُعائهِ إذا استعصى عليه تفسيُر آيةٍ من كتاب الله تعالى:

"اللهمَّ يا مُعَلِّمَ آدمَ وإبراهيمَ عَلِّمني، ويا مُفَهِّمَ سُليمان فَهِّمْني" فيجدُ الفَتْحَ في ذلك[333].

وكان أبوعلي ابن سينا المتوفى سنة (428هـ):إذا أشكلت عليه مسألة توضّأ وقصد المسجد الجامع ،وصلّى ودعا الله عزّ وجل أن يسهلها عليه ويفتح مغلقها له [334].

32- الأمانةُ العلميةُ:

يجبُ على طالبِ العلم فائقُ التحلّي بالأمانة العلميــةِ، في الطَّلَــبِ، والتحمُّلِ والعَمَلِ والبلاغِ، والأداءِ:

"فإنَّ[335] فلاحَ الأُمَّةِ في صلاح أعمالِها، وصلاحُ أعمالِها في صِــحَّة علومِها، وصحَّةُ علومِها في أَنْ يكونَ رجالُها أُمَنَاءَ فيما يَرْوون أو يَصِــفُون،

---

[332] – أخرجه أحمد والنسائي .

[333] – فتاوى ابن تيمية"(38/4).

[334] – وفيات الأعيان (152/1) .

[335] – "رسائل الإصلاح"(13/1).

فمن تَحَدَّثَ في العلمِ بغيرِ أمانةٍ، فقد مَسَّ العلمَ بقُرْحَةٍ، وَوَضَعَ في سبيلِ فلاحِ الأمة حَجَرَ عَثْرَة.

لا تَخْلو الطوائفُ المنتميةُ إلى العلومِ من أشخاصٍ لا يَطْلُبُونَ العلم ليتحلَّوا بأسنى فضيلةٍ، أو لِيَنْفَعُوا النَّاسَ بما عَرفوا من حكمةٍ وأمثالُ هؤلاء لا تجدُ الأمانةَ في نفوسِهم مُسْتَقَراً، فلا يتحرَّجون أنْ يَرْوُوا ما لم يسمعوا، أو يَصِفُوا ما لم يعلموا، وهذا ما كان يَدْعو جهابذةَ أهل العلمِ إلى نَقْد الرجال، وتَمْييز مَنْ يُسْرِفُ في القولِ ممَّن يصوغُه على قَدْرِ ما يعلمُ، حتى أصبح طُلاَّبُ العلمِ على بصيرةٍ من قيمةِ ما يقرؤونه، فلا تخفي عليهم منزلتهُ، من القَطْعِ بصدقهِ أو كذبه أو رجُحانِ أحدِهما على الآخَرِ، أو احتمالِهما على سواء" أ. هـ.

33- الصِّدْقُ [336]:

صدقُ اللهجةِ: عنوانُ الوَقَارِ، وشرفُ النَّفْس ونقاءُ السريرةِ، وسُمُوُّ الهِمَّةِ، ورُجْحَانُ العقلِ، ورسولُ المودَّةِ مع الخلقِ وسعادةُ الجماعةِ، وصيانةُ الديانةِ، ولهذا كان فَرْضَ عينٍ فيا خَيْبَةَ من فَرَّطَ فيه، ومن فعل فقد مَسَّ نَفْسَهُ وعلمَه بأذى.

قال الأوزاعِيُّ رحمه الله تعالى:

"تعلَّم الصِّدْقَ قبل أن تتعلَّم العلم".

وقال وكيعٌ رحمه الله تعالى:

---

[336] – فتاوى شيخ الإسلام"(20/74-85).

"هذه الصَّنْعَةُ لا يرتفعُ فيها إلا صادقٌ"[337].

فتعلَّم – رحمك اللهُ – الصِّدْقَ قبل أن تتعلَّم العلم، والصِّدْقُ: إلقاءُ الكلام على وَجْهٍ مطابقٍ للواقعِ والاعتقادِ، فالصِّدْقُ من طريقٍ واحدٍ، أمَّا نقيضهُ الكذبُ فَضُروبٌ وألوانٌ ومسالكٌ وأودية، يجمعُها ثلاثةٌ [338]:

1- كَذِبُ المتملِّق: وهو ما يخالفُ الواقعَ والاعتقادَ، كمن يتملَّق لمن يعرفهُ فاسقاً أو مبتدعاً فَيَصِفُه بالاستقامةِ.

2- وكَذِبُ المُنافِق: وهو ما يخالفُ الاعتقادَ ويُطابق الواقعَ كالمُنافق ينطقُ بما يقولُه أهلُ السُّنَّةِ والهدايةِ.

3- وكَذِبُ الغبيِّ: بما يُخَالِفُ الواقعَ ويطابقُ الاعتقادَ كمن يعتقدُ صلاحَ صوفيٍّ مبتدع فيصفُه بالولاية. فالْزَمِ الجادَّةَ (الصِّدْقَ) فلا تضغطْ على عَكَدِ اللسانِ ولا تضُمَّ شَفَتيك، ولا تفتح فاك ناطقاً إلا على حروفٍ تُعَبِّرُ عن إحساسِك الصادقِ في الباطنِ؛ كالحُبِّ والبُغْض، أو إحساسِك في الظاهرِ؛ كالَّذي تُدْرِكُه الحواسُّ الخمسُ: السمعُ والبصرُ والشمُّ والذوقُ واللمسُ.

فالصادقُ لا يقولُ:"أحببتكُ" وهو مُبْغِضٌ ولا يقولُ: "سمعتُ" وهو لم يسمع، وهكذا...

واحْذر أَنْ تحومَ حولَك الظنونُ فتخونَك العزيمةُ في صدقِ اللهجةِ فَتُسَجَّل في قائمة الكذابين.

---

337 - الجامع"(304/1، 7/2) للخطيب البغدادي.

338 -"رسائل الإصلاح"(95/1-105) مهم.

وطريقُ الضَّمانة لهذا – إذا نازَعَتْك نفسُك بكلام غيرِ صادقٍ فيه:– أن تَقْهَرهَا بذكرِ منزلةِ الصدق وشَرَفِهِ، ورذيلةِ الكذب وَدَركِه وأنَّ الكاذبَ عن قريبٍ ينكشفُ.

ومن الطرائف الواقعة في فضح المدعين أن محمد بن زكريا الرازي الطبيب[339] صنّف للملك منصور بن نوح بن سامان أحد ملوك الساسانية كتابا في الكيمياء ،فأعجبه ،ووصله بألف دينار، وقال:أريد أن تخرج ما ذكرت من القوّة إلى الفعل[340] ،فقال :إنّ ذلك ممّا يحتاج إلى مُؤن ،وآلات ،وعقاقير صحيحة ،وإحكام صنعة ،فقال له الملك :كلّ ما تريده أحضره إليك ،وأمدّك به .

فلمّا كعَّ عن مباشرة ذلك وعمله، قال الملك :مااعتقدت أنّ حكيما يرضى بتخليد الكذب في كتب ينسبها إلى الحكمة، يشغل بها قلوب النّاس ،ويُتعبهم فيما لافائدة فيه ،والألف دينار لك صلة ،ولابدّ من عقوبتك على تخليد الكذب في الكتب ؛وأمر أن يضرب بالكتاب الّذي عمله على رأسه إلى أن يُقطَّع ،فكان ذلك الضّرب سبب نزول الماء في عينيه ،و لم يسمح بقدحها ،وقال :قد رأيت الدنيا .

وللجهابذة في كشف الوضاعين قصص في كتب الحديث ،وفي كلّ نادٍ أثر من ثعلبة.

واستعِنْ باللهِ ولا تعجزنّ. ولا تفتح لنفسِك سابلةَ المعاريض في غيرِ ما حَصَرهُ الشّرعُ.

---

339 – انظر الوفيات لابن خلكان (5/ 60) وعنه عشاق الكتب ص(149) .

340 – القوة عند المناطقة : هي الحقيقة الكامنة في الشيء ، والفعل وجوده في الخارج .

فيا طالبَ العلم! احْذَرْ أَنْ تَمْرُقَ من الصدقِ إلى المعاريضِ فالكذبِ، وأسوأُ مرامي هذا المروقِ (الكذبُ في العلمِ) لِدَاءِ مُنافسةِ الأقرانِ، وطـيرانِ السُّمعةِ في الآفاق.

ومن تطلَّع إلى سُمعةٍ فوقَ مترلتهِ فَلْيَعْلَم أنَّ في المرصاد رجالاً يحملونَ بصائرَ نافذةً وأقلاما ناقدةً فَيَزِنُون السُّمْعةَ بالأثرِ، فتتمُّ تعريتك عـن ثلاثـةِ معانٍ:

1- فَقْدُ الثقةِ من القُلوبِ.وتفقد إذا تبين أنه قال ذلك عـن جهـل ،مايثقون به وينصرفون عنه .

2- ذهابُ عِلْمِك وانْحِسَارُ القَبولِ؛ بين الخلق لأنهم شـهداء علـى مبلغي الحق بالثقة والصدق ،وأنت سقطت من سلم العدالة فتنحسر عنك أقلام الطلب ،ويكثر حول شخصك الشغب .

3- أن لا تُصَدَّق ولو صدقتَ. فالناس إذا جربوا الكذب من كاذب، وافتضح ، رموه رمي النّواة ، وحذروا منه سائر النّاس ،ففرّوا منه فرارهم مـن المجذوم .

وبالْجُملة؛ فمن يحترفُ زُخْرُفَ القَوْلِ؛ فهو أخو السّاحرِ، ولا يُفلـح السّاحرُ حيثُ أتَى[341]. والله أعلم.

34- جُنَّةُ طالبِ العلمِ:

[341] – المرجع قبله. قوله اقتباس من الآية (ولايفلح الساحر حيث أتى) من سورة طه من الآية (69).

جُنَّةُ العالم (لا أَدْرى)،وقال النبي ﷺ : « ماالمسؤول عنها بأعلم من السائل »[342] وقالتها الملائكة الكرام عندما سئلوا ﴿ لاعلم لنا إلا ماعلمتنا ﴾؛أخرج مسلم عن عبد الله بن مسعود ﷺ قال :أيّها النّاس من علم علما فليقل به ،ومن لم يعلم فليقل :لاأعلم ،فإنّ من العلم أن يقول الرّجل لما لايعلم :لاأعلم ".

وقال الصلت بن بهرام :"مابلغ أحد مبلغ الشعبي ،أكثر منه يقول لاأدري "[343]،وكان الشّعبيّ يقول :"لاأدري نصف العلم "[344] .

قال الشاعر :

ومن كان يهوى أن يُرى متصدّرا ويكره لاأدري أصيبت مقاتله

وقد سئل الإمام الأعظم أبوحنيفة النعمان[345]- رحمه الله تعالى - في ثمان مسائل فقال :لاأدري . والإمام مالك رحمه الله تعالى سئل عن ثمان وأربعين مسألة، فقال في ثنتين وثلاثين مسألة منها لاأدري ؛،وسئل الشّافعي فكان جوابه كسابقيه.

وَيَهْتِكُ حجابَ الاستنكافُ منها، وقولهُ: يُقال ....

وعليه؛ فإنْ كان نصفُ العلم (لا أدرى)؛ فنصفُ الجهل (يُقال) و (أظنُّ)[346].

35- المُحافَظَةُ على رأسِ مالك (ساعاتِ عُمُرِك):

---

[342] – رواه البخاري ومسلم .

[343] – السير (302/4).

[344] – رواه الدارمي(63/1) والبيهقي في المدخل ،وانظر المقاصد الحسنة (458) .

[345] – انظرها منظومة في كتاب الصبابات للعظم ص(72) .

[346] – التعالم"(ص36).

الوَقْتَ الوَقْتَ للتَّحْصِيل، فكن حِلْفَ عَمَلٍ لا حِلْفَ بطالةٍ وبَطرٍ ،وَحِلْسَ[347] مَعْمَلٍ لا حِلْسَ تَلَهٍّ وسَمَر ،فالحفظُ على الوقتِ؛ بالجدِّ؛ والاجتهادِ، ومُلازمةِ الطلب، ومُثافَنَةِ الأشياخ، والاشتغالِ بالعلم قراءةً وإقراءً ،ومطالعة وتدبُّراً ،وحِفْظاً وبَحْثاً، لا سيَّما في أوقات شَرْخِ الشباب ومُقْتَبَلِ العُمُر، ومعدِن العافية، فاغتنم هذه الفُرصةَ الغاليةَ، لتنالَ رُتَبَ العلمِ العاليةَ؛ فإنَّها "وقتُ جمع القلبِ، واجتماع الفِكْرِ"، لقلَّةِ الشواغلِ والصوارفِ عن التزاماتِ الحياة والتَّرَؤُّسِ،ولخفَّة الظَّهْرِ والعيالِ:

مـا لِلْمُعيـلِ ولِلْعَـوَالي إنَّمـا يَسْعى إلـيهنَّ الفَرِيـدُ الفَـارِدُ

روى البخاري في صحيحه معلّقا من حديث عمر ﷺ قال : تفقهوا قبل أن تُسَوَّدُوا [348] ،قال البخاري :وبعد أن تسودوا "، **وإيَّاك وتأميرَ التسويفِ على نَفْسِك؛ فلا تُسَوِّف لنفسك بعد الفراغ من كذا، وبعد (التقاعُدِ) من العَمَل هذا ... وهكذا بل البدَارَ قبل أن يَصْدُقَ عليك قولُ أبي الطَّحَّان القَيْني:**

حَنَتْنَي حَانِيَاتُ الدَّهْرِ حَتَّى كَأَنِّي خاتِلٌ أَدْنُوا لِصَيْد
قَصِيرُ الخَطْو يَحْسبُ مَنْ رآني ولستُ مُقَيَّداً أَنِّى بقَيْد

---

[347] –حلس: الحِلْس والحَلَس مثل شِبْه وشَبَه :كل شيء ولي ظهر البعير والدابة تحت الرحل والقتب والسرج ،والتشبيه هنا ولطالب العلم للملازمة بين الطالب والعلم والحلس وظهر البعير ،ويقال فلا ن حلس بيته لايبرحه وفي الحديث (كن حلسا من أحلاس بيتك حتى تأتيك يد خاطئة أو منية قاضية).

[348] – أثر عمر أخرجه ابن أبي شيبة وغيره،وإسناده صحيح كما في الفتح(200/1).

وقال أُسامة بن مُنْقِذ: [349]

مَعَ الثَّمانينَ عاث الضَّعْفُ في جَسَدي ... وسَاءني ضَعْفُ رِجْلي واضطراب يَدِي

إذَا كَتَبْتُ فَخَطِّي خَطُّ مُضْطَرِبٍ ... كَخَطِّ مُرْتَعِشِ الكَفَّيْنِ مُرْتَعِدِ

فَاعْجَبْ لِضَعْفِ يَدي عن حَمْلِها قَلَماً ... مِنْ بَعْدِ حَمْلِ [350] الْقَنَا في لَبَّةِ الأَسَدِ [351]

فَقُلْ لِمَنْ يَتَمَنَّى طُولَ مُدَّتِهِ ... هذى عواقِبُ طُولِ العُمْرِ والْمُددِ

فإنْ أَعْمَلْتَ البِدَارَ، فهذا شاهدٌ منك على أنَّك تحمِلُ "كِبَرَ الهمَّة في العِلْمِ".

وانظر رعاك الله لِهِمَمِ السّالفين في كسب الوقت ،والحرص عليه، ففي أخبارهم عبر ،وفي قصصهم ذكرى لمن اعتبر ،وماأقسم الله بالوقت وأجزائه ،إلاّ لتلتفت لنفسك ،فتشغلها بالحق قبل أن تشغلك بالباطل ،يقول الإمام أبوالوفاء علي بن عقيل الحنبلي صاحب كتاب الفنون الذي قال عنه الذهبي : لم يصنّف في الدنيا أكبر من هذا الكتاب ،حدثني من رأى منه المجلد الفلاني بعد الأربع مئة ،قال ابن رجب : وقال بعضهم :هو ثماني مئة مجلدة)قال ابن عقيل :وأنا أقصِّر بغاية جهدي أوقات أكلي ،حتّ أختار سَفَّ الكعك، وتحسّيه بالماء على الخبز ،لأجل مابينهما من تفاوت المضغ ،توفرا على مطالعة ،أو تسطير فائدة لم أدركها فيه ،وإنّ أجلَّ تحصيلٍ عند العقلاء بإجماع العلماء ،هو الوقت ،فهو غنيمة تُنتهز فيها الفرص ،فالتّكاليف كثيرة ،والأوقات خاطفة [352].

---

[349] – انظر الاعتبار لأسامة بن منقذ ص(262) ط/المكتب الإسلامي .

[350] – في نسخة (حطم).

[351] – وفي نسخة قبل هذا البيت:وإن مشيت وفي كفي العصا ثقلت رجلي كأني أخوض في الجلد)

[352] – انظر ذيل طبقات الحنابلة للحافظ ابن رجب (1/142-165)،وصفحات من صبر العلماء نقلا منه (320)

36- إجْمامُ النَّفْس:

خُذْ من وقتِك سُوَيعات تُجمُّ بها نفسَك في رياضِ العلمِ من كُتُب المحاضراتِ (الثقافة العامَّة)، فإنَّ القُلوبَ يُرَوَّحُ عنها ساعةً فساعةً.

وفي المأثور عن أمير المؤمنين عليٍّ بن أبي طالب رضى الله عنه أنه قال: "أَجِمُّوا هذه القلوب، وابْتَغُوا لها طرائفَ الحكمةِ، فإنَّها تَملُّ كما تمل الأبدانُ"[353].

وقال شيخ الإسلام ابن تيميَّة رحمه الله تعالى في حكمةِ النهى عن التطوُّع في مُطْلَقِ الأوقاتِ[354]:

"بَلْ في النَّهْي عنه بعضَ الأوقاتِ مصالِحُ أُخَرُ من إجمامِ النُّفوسِ بعضَ الأوقاتِ؛ من ثِقَلَ العبادةِ؛ كما يُجَمُّ بالنومِ وغيرِهِ، ولهذا قال مُعاذ إني لأحتسِبُ نَوْمَتِي، كما أحتسِبُ قَوْمَتِي ..."

وقال[355]:"بل قد قِيلَ: إنَّ من جُملة حكمةِ النَّهْى عن التطوُّع المُطْلَقِ في بعض الأوقاتِ: إجمامَ النُّفوسِ في وقت النَّهي لِتَنْشَطَ للصلاةِ؛ فإنَّها تنبسِطُ إلى ما كانت ممنوعةً منه، وتنشطُ للصلاةِ بعد الراحةِ. واللهُ أعلم" اهـ.

وقيمة الزمن عند العلماء ص(54) كلاهما لأبي غدة .

353 – جامع بيان العلم وفضله".

354 – مجموع الفتاوى (187/23).

355 – "مجموع الفتاوى"(217/23).

ولهذا كانت العُطَلُ الأسبوعيةُ للطُّلابِّ منتشرةً منذ أَمَدٍ بعيدٍ، وكان الأغلبُ فيها، يومَ الجُمُعةِ، وعصرَ الخميسِ، وعند بعضِهم يومُ الثلاثاء، ويومُ الاثنين، وفي عيدي الفِطْر والأضحى من يومٍ إلى ثلاثةِ أيام وهكذا ....

ونجدُ ذلك في كُتُب آداب التعليمِ، وفي السِّيَرَ، ومنه على سبيل المثال:"آداب المُعَلمِّين" لِسُحنون (ص104)، و"الرسالة المفصَّلة" للقابسي (ص135-137)، و"الشقائق النُّعمانية"(ص20)، وعنه في "أبجد العلوم"(1/195-196) وكتاب "أليس الصبح بقريب" للطاهر ابن عاشور، وفتاوى رشيد رضا" (1212)، و معجم البلدان"(3/102) و"فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية" (25/318-329،320).

37- قِراءةُ التَّصْحيحِ والضَّبْطِ:

احْرِصْ على قراءةِ التّصحيحِ والضّبطِ على شيخٍ مُتْقِنٍ؛ لتأمنَ من التّحريفِ والتّصحيفِ والغَلَطِ والوَهَمِ.

وإذا استقرأتَ تراجمَ العلماءِ – وبخاصّةٍ الحُفَّاظَ منهم – تجدْ عدداً غيرَ قليلٍ ممَّن جَرَدَ المُطَوَّلاتِ في مجالسَ أو أيامٍ قراءةَ ضبطٍ على شيخٍ مُتقنٍ.

فهذا الحافظُ ابنُ حَجَرٍ رحمه الله تعالى قرأ "صحيحَ البُخاريِّ" في عشرة مجالس، كلُّ مجلسٍ عشرُ ساعات، و"صحيح مسلم" في أربعةِ مجالس في نحو يومينِ وشَيْءٍ من بُكرةِ النّهار إلى الظّهر، وانتهى ذلك في يَوْمِ عَرَفة، وكان يومَ الجمعة سنة 813هـ وقرأ "سُنن ابن ماجة" في أربعة مجالسَ،" ومعجم الطَّبراني الصغير" في مجلس واحد، بين صلاتيّ الظّهر والعصر.

وشيخهُ الفَيْروزَ آبادي قرأ في دمشق "صحيح مسلم" على شيخه ابن جَهْبَل قراءةً ضَبْطٍ في ثلاثةِ أيام.

وللخطيبِ البَغْدادي والمُؤْتَمن السَّاجي، وابن الأبَّار وغيرِهم في ذلك عجائبُ وغرائبُ يطولُ ذكرها، وانْظُرْها في: "السَّيَر" للذهبي (277/18و 279، 310/19، 253/21)، و"طَبقَات الشافعية" للسُّبْكي (30/4)" و الجواهر والدُّررَ "للسَّخَاوي (103/1-105) "و فتح المغُيث"(46/2)، و"شذرات الذهب" (121/8، 206)، و"خُلاصة الأثَر" (72/1-73) و"فِهْرِس الفهارس" للكَتَّاني، و"تاج العروس"(45/1-46).

فلا تَنْسَ حَظَّك من هذا.

38- جَرْدُ المُطَوَّلات:

الجَرْدُ للمُطَولاَّت من أهمِّ المُهِمَّاتِ؛ لِتَعدُّدِ المعارفِ وتوسيعِ المـــدارك واستخراجِ مكنونها من الفوائدِ والْفَرَائِدِ والخِبْرَةِ من مظانِّ الأبحاثِ والمسائلِ ، ومعرفةِ طرائقِ المُصَنِفِّينَ في تأليفِهم واصطلاحِهم فيها.

وقد كان السَّالِفونَ يكْتُبون عند وقوفِهم:"بَلَغَ"[356]، حتى لا يفوتَه شئ عند المُعَاوَدَةِ، لا سَّيما مع طُولِ الزَّمَنِ.

39- حُسْنُ السُّؤَال:

الْتَزِمْ أَدَبَ المُباحَثةِ من حُسْنِ السُّؤالِ، فالاسْتِمَاعِ فصحَّةِ الفهمِ للجوابِ،

---

[356]- والأحسن كتابتها بقلم قابل للإزالة حتى إذا استأنفت القراءة محوتها وكتبتها عند نهاية قراءتك الجديدة وإلا التبس عليك الأمر.

قال حكيم لابنه[357] :تعلّم حسن الاستماع ،كما تعلّم حسن الكلام ،فإنّ حسن الاستماع إمهالك للمتكلّم حتّ يفضي إليك بحديثه، والإقبال بالوجه ،والنّظر ،وترك المشاركة له في حديث أنت تعرفه وأنشد :

ولاتشارك في الحديث أهله وإن عرفت فرعه وأصله

وإيَّاك إذا حَصَلَ الجوابُ أن تقولَ: لكنَّ الشيخ فلانٌ قال لي كذا، أو قال كذا، فإنَّ هذا وَهْنٌ في الأَدَبِ، وضَرْبٌ لأهلِ العلمِ بعضِهم ببعضٍ، فاحْذَر هذا.

وإنْ كُنتَ لا بُدَّ فاعلاً، فكُن واضِحاً في السؤال، وقل: ما رأيُك في الفتوى بكذا، ولا تُسَمِّ أحداً.

قال ابنُ القَيِّمِ رحمه الله تعالى[358]:

"وقيل: إذا جَلَسْتَ إلى عالمٍ، فَسَلْ تَفَقُّهاً لا تَعَنُّتاً" أ هـ.

وقال أيضاً:

"وللعلم ستُّ مراتبَ:

أولُها: حُسْنُ السؤالِ.وقد كان الصحابة ﷺ يودون أن لو يأتي الرجل الأعرابي العاقل اللبيب ليسأل رسول الله ﷺ ،فيستفيدون من سؤاله جوابا من رسول الله ﷺ كما وقع ذلك في حديث ضمام بن ثعلبة .

الثانيةُ: حُسْنُ الإنصاتِ والاستماعِ.

الثالثةُ: حُسْنُ الفهمِ.

---

[357] – انظر الآداب الشرعية (278/2).

[358] –''مفتاح دار السعادة''(ص 184).

الرابعةُ: الحِفْظُ.

وأفضل الأوقات للحفظ كما قال ابن الجوزي :وقد مدح الحفظ في السّحر لموضع جمع الهمّ ، وفي البُكر ،وعند نصف اللّيل ،وقال ابن جماعة :وأجود الوقت للحفظ الأسحار،وللبحث الأبكار ،وللكتابة وسط النّهار ،وللمطالعة والمذاكرة اللّيل؛وقال الخطيب :وحفظ الليل ،أجود من حفظ النهار[359]،وهو أمر مقطوع به ، ولينتبه الطالب لبطنه ،فإنّ وقت الشّبع مكسلة عن الحفظ،وقد قيل : البطنة تذهب الفطنة .

الخامسة: التعليمُ. فمن أراد زكاة علمه فليعلمه للناس

يزيد بكثرة الإنفاق منه وينقص إن كفّاً به شدَدْتَا

السادسة: وهى ثمرتُه؛ العمل به ومراعاة حدوده. أ هـ. والعمل قبل تعليمه ؛ليثبت ولتكون قدوة بذلك لمن تعلم؛**ثم أخذ في بيانها ببحث مهم.**

قال محمد فال ولد متالي رحمه الله تعالى :

كتب إجازة حفظ الرّسم قراءة تدريس أخذ العلم

ومن يقدم رتبة عن المحل من ذي المراتب المرام لم ينل

40- المَناظرةُ بلا مماراة(360):

إيَّاك والمماراةَ فإنها نقْمَةٌ ،قال رسول الله ﷺ « ماضلّ قوم بعد هدى إلاّ أوتوا الجدل » [361]،وقال مالك رحمه الله تعالى :"المراء في العلم يقسي

---

[359] – كما في الحث على الحفظ ص(37) ،وفي تذكرة السامع (72)الفقيه والمتفقه (207/2) .وعن الثلاثة قواعد وفوائد في طلب العلم لأخينا الشيخ صالح زنداقي ص(35) مخطوط .

[360] – وانظر:"فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية"(24/172-174).

القلب،ويورث الظغن " ،وقال بعض السلف :"إذا أراد الله بعبد خيرا فتح لـــه باب العمل ،وأغلق عنه باب الجدل ، وإذا أراد الله بعبد شرّا أغلق عنـــه بـــاب العمل وفتح له باب الجدل " [362]؛

أمَّا المُناظرةُ في الحَقِّ؛ فإنّها نِعْمَةٌ ،قال الإمام أبوبكر الآجري رحمه الله تعالى [363]:بعد أن حذر من الجدل والمراء :فإن قال قائل فما يصنع في علم قـــد أشكل عليه ؟قيل له :إن كان كذلك وأراد أن يستنبط علم ماأشكل عليه، قصد إلى عالم ممّن يعلم أنّه يريد بعلمه الله ...فذاكره مذاكرة من يطلـــب الفائـــدة ،وأعلمه أنّ مناظرتي إيّاك مناظرة من يطلب الحقّ ،وليست مناظرة مغالب ، ثم ألزم نفسه الإنصاف في مناظرته اهـــ،

إذ المناظرةُ الحقَّة فيها إظهار الحقِّ على الباطـــلِ، والـــرّاجحِ علـــى المرجوحِ فهي مَبْنِيَّةٌ على المُنَاصَحَةِ، والحِلْمِ، ونَشْرِ العِلْم ، وفي هـــذا يقـــول الشافعي رحمه الله تعالى :ماكلّمت أحدا قطّ إلاّ أحببت أن يوفّق ويسدّد ويعان ،وتكون عليه رعاية من الله وحفظ ،وما كلّمت أحدا قطّ إلاّ ولم أبال بـــين الله الحق على لساني أولسانه"[364] **أَمَّا المماراةُ في المحاوراتِ ، والمناظراتِ، فإنَّهـــا تَحَجُّجٌ ورياءٌ ولَغَطٌ وكِبرياءٌ ومُغالَبَةٌ ومراءٌ، واخْتِيَالٌ وشَـــحْناءٌ، ومجـــاراةٌ للسُّفهاءِ فَاحْذَرْهَا واحْذَرْ فاعِلَها؛ تَسْلَم من المآثمِ وهَتْكِ المحـــارمِ، وأَعْـــرِضْ تَسْلَم وتكْبُت المأثَم والمَغْرَمَ.**

---

[361] – رواه الترمذي وقال حسن صحيح (3250)،وابن ماجة(48) وأحمد (252/5و256) .

[362] – فضل علم السلف على الخلف لابن رجب الحنبلي (86) .

[363] – أخلاق العلماء (41)وعنه آداب طالب العلم لكرزون ص(62) .

[364] – الفقيه والتفقه (26/2) وعنه آداب طالب العلم (62) .

41- مُذاكَرَةُ العِلْمِ:

تمتعَّ مع البُصَراء بالمُذاكَرةِ والمُطارَحةِ؛ فإنَّها في مواطنَ تفوقُ المُطالَعةَ وتشحَذُ الذِّهْنَ وتُقوِّي الذَّاكرةَ؛ ومن لطائف المذاكرات ماجاء عن فضيل بن غزوان قال :كنا نجلس أنا ومغيرة بن مقسم الضبي – وعدّد آخرين – نتذاكر الفقه ،فربما لم نقم حتى نسمع النداء بصلاة الفجر [365]؛ وقال علي بن الحسن بن شقيق :قمت مع عبد الله بن المبارك في ليلة باردة ،ليخرج من المسجد ، فذاكرني عند الباب بحديث وذاكرته ،فما زال يذاكرني حتّ جاء المؤذّن فأذّن الفجر [366].

ملتزماً الإنصافَ والملاطفةَ، مُبتعداً عن الحَيفْ والشَّغَب والمُجَازفةِ.

والإنصاف عزيز، ورحم الله تعالى مالك بن دينار حيث قال :وليس في الناس شيء أقل من الإنصاف" ،وقال : جعفر بن سعد :ما أقلّ الإنصاف ،وماأكثر الخلاف ،والخلاف موكَّلٌ بكلّ شيء حتّ القذاة في رأس الكوز ،فإذا أردت أن تشرب الماء حارت إلى فيك ،وإن أردت أن تصبّ من رأس الكوز لتخرج رجعت [367]

آخ الكرام المنصفين وصِلْهُمُ واقطع مودّة كلِّ من لاينصف .

وكُنْ على حذَرٍ؛ فإنَّها تكشفُ-أي المذاكرة- **عُوارَ مَنْ لا يَصْدُقُ.**

---

[365] – تذكرة الحفاظ للذهبي (143/1) .

[366] – المرجع السابق (277/1) .

[367] – انظر الآداب الشرعية (211/2) .

فإن كانت مع قاصرٍ في العلم، باردِ الـــذّهن، فهـــي داءٌ ومُنـــافرةٌ ، وأمَّـــا مذاكرتُك مع نفسِك في تقليبِك لمسائل العلمِ ؛ فهذا ما لا يسوغُ أن تنفـــكَّ عنه.

وقد قيلَ: إحياءُ العلمِ مُذاكرتُهُ.

42- طالبُ العلم يعيشُ بين الكِتَابِ والسُّنَّة وعلومِها:

فهما له كالجناحَيْنِ للطائرِ، فاحْذَر أنْ تكونَ مَهِيضَ الجناحِ.

43- استكمالُ أدوات كل فن:

لن تكونَ طالبَ علمٍ مُتْقَناً مُتَفَنِّناً – حتى يَلجَ الجَمَلُ في سَمِّ الخِيَاطِ – ما لم تستكمِلْ أدواتِ ذلك الفَنِّ، ففي الفقهِ بين الفقه وأُصولِه، وفي الحديثِ بين عِلمَي الروايةِ والدرايةِ ... وهكذا، وإلاَّ فلا تَتَعَنَّ.

قال الله تعالى:(الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلاوَتِهِ)(البقرة:**121**)

فَيُستفاد منها أنَّ الطالبَ لا يتركُ عِلْمًا حتى يُتْقِنَه[368].

[368] -''شرح الإحياء''(334/1).

الفصل السادس
التَّحَلِّيَ بالْعَمَل

44- منْ علاماتِ العلمِ النَّافعِ:

تساءَلْ مَعَ نَفْسِك عن حَظِّكَ من علاماتِ العلمِ النافعِ، وهى:

العملُ به.

كراهيةُ التّزكيةِ، والمدحِ ،والتكبُّر على الخَلْقِ.

تكاثُر تواضُعِك كلَّما ازددتَ علماً.

لأنّك بكثرة علمك تعرف مقدار نفسك ،فتزدريها فلا تتكبر على الخلق ولاتعلو فوق رؤوسهم كالدخان وهو وضيع .

الهَرَبُ من حُبِّ الترؤُّس والشهرةِ والدُّنيا.

هَجْرُ دعوى العِلْمِ.

إساءةُ الظَّنِّ بالنّفسِ، وإحسانُه بالنّاس ، تتزُّهاً عن الوقوعِ بهم.

وقد كان عبدُ الله بن المبارَك إذا ذُكر أخلاقُ مَنْ سَلَف يُنْشِد:

لا تَعْرِضَنَّ بِذِكْرِنا مع ذكـــرهم ليسَ الصَّحيحُ إذَا مَشَى كالْمُقْعَدِ

45- زكاةُ العلمِ:

أَدِّ (زكاةَ العلمِ): صادعِاً بالحقِّ، أَمَّاراً بالمعروفِ، نَهَّاءً عن المُنْكَرِ، مُوازناً بين المصالحِ والمضارِّ، ناشِراً للعلمِ، وحُبِّ النفع، وبَذْلِ الجاه، والشفاعةِ الَحَسنة للمسلمين في نوائبِ الحقِّ والمعروفِ.

بادئا بصغار العلوم قبل كبارها في تربية الناس ،وشغلهم بما يهمّهم ،وما يحتاجون إليه في يومياتهم ،وستجد إن خالفت ذلك أنّها تحلّق في سماء غير سمائك ،وفوق أرض غير أرضك :قال تعالى « كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ الكِتَابَ وبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ »[369] .

قال البخاري رحمه الله تعالى :"قال ابن عباس رضي الله عنهما :كونوا ربّانيين ،حكماء ،فقهاء ؛ ويقال :الرّبانيّ ، الّذي يربّي النّاس بصغار العلم قبل كباره"[370] .

وقال ابن جرير : الرّبانيّون هم عماد النّاس في الفقه، والعلم، وأمور الدّين، والدنيا ، ولذلك قال مجاهد : وهم فوق الأحبار . لأنّ الأحبار هم العلماء ، والرّبانيّ : الجامع إلى العلم والفقه، البصر، والسياسة، والتّدبير،والقيام بأمور الرّعيّة ،وما يصلحهم في دنياهم، ودينهم .

وعن أبي هُريرة رضى الله عنه أن النبي ﷺ قال:"إذا مات الإنسانُ انْقَطَعَ عملهُ، إلا ّمن ثلاثٍ: صَدَقةٍ جاريةٍ، أو علمٍ يُنْتَفَعُ به، أو وَلَدٍ صالحٍ يدعو له". رواه مسلمٌ وغيره.)

قال بعضُ أهل العِلْمِ[371]: هذه الثّلاثُ لا تجتمعُ إلا ّلِلْعالمِ الباذلِ لعلمهِ ،فبذلُه صَدَقَةٌ يَنْتَفِعُ بها، والمُتَلَقّي لها ابنٌ للعالمِ في تعلُّمهِ عليه.

فاحْرِصْ على هذه الحِلْيةِ فهي رأسُ ثمرةِ علمِك.

---

[369]– الآية(79) من سورة آل عمران .

[370] – رواه البخاري تعليقا كما في الفتح (192/1) باب العلم قبل القول والعمل .

[371] –"تذكرة السامع والمتكلم".

وَلِشَرَفِ العلمِ؛ فإنَّه يزيدُ بكثرةِ الإنفاقِ، ويَنْقُصُ مع الإشفاقِ وآفتُه الكِتْمَانُ.

قال الحسن البصري رحمه الله تعالى :في قوله تعالى ﴿ وممّا رزقناهم ينفقون ﴾ قال :إن من أعظم النفقة نفقة العلم " ،وفي أثر عن أبي الدرداء ﷺ :ماتصدّق عبدٌ بصدقة أفضل من موعظة يعظ بها إخوانا له مؤمنين ،فيتفرّقون وقد نفعهم الله بها " [372].

وللإمام الإلبيري رحمه الله تعالى قصيدة رائعة يحث فيها ابنه على طلب العلم ،حري بطالب العلم أن يحفظها ،وقد أدركت بعض شيوخنا يدرسها للطلاب وفيها قوله عن إنفاق العلم :

يزيد بكثرة الإنفاق منه وينقص إن كفّاً به شدَدتّا

ولا تَحْمِلْك دعوى فسادِ الزمانِ، وغَلَبة الفُسَّاق، وضَعْف إفادةِ النَّصيحةِ عن واجبِ الأداء والبلاغِ، فإنْ فَعَلْتَ؛ فهي فِعْلَةٌ يسوقُ عليها الفُسَّاقُ الذهبَ الأحمرَ، لِيتَمِ لهم الخروجُ على الفضيلةِ ورفعُ لواءِ الرذيلةِ.

46- عِزَّةُ العُلَماء:

التَّحَلِّي بـ (عزّة العلماء): صيانةُ العلمِ وتعظيمهُ، وحمايةُ جنابِ عِزِّهِ وشَرَفِه، وبِقَدْرِ ما تبذُلُه في هذا يكونُ الكَسْبُ منه ومن العَمَلِ به، وبِقَدْرِ ما تهدُرهُ يكونُ الفَوْتُ ولا حولَ ولا قُوَّةَ إلاَّ باللهِ العزيزِ الحكيمِ.

---

[372] – انظر مجموع الفتاوى لابن تيمية (42/4) .

وعليهِ؛ فاحْذَر أن يَتَمَنْدلَ بك الكُبَراءُ، أو يَمْتَطِيَكَ السُّفهاء، فَتُلاين في فتوى، أو قضاءٍ، أو بحثٍ، أو خطاب ....

ولا تَسْعَ به إلى أهلِ الدُّنيا، ولا تَقِفْ به على أعتابِهم ،ولا تَبْذُلْهُ إلى غيرِ أهلِه وإنْ عَظُم قدرهُ.

ومَتِّع بَصَرَكَ وبصيرتَك بقراءةِ التراجِمِ والسِّيَر لأئمَّةٍ مَضَوْا، تَرَ فيها بَذْلَ النفسِ في سبيلِ هذه الحمايةِ، لا سيَّما مَن جَمَع مُثُلاً في هذا، مِثْلَ كتاب "من أخلاق العلماء" لمحمد سُليمان رحمه الله تعالى[373]، وكتاب "الإسلام بين العُلَماء والحُكَّام" لعبد العزيز البَدْري رحمه الله تعالى، وكتاب "مناهج العلماء في الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر" لفاروق السَّامَرَّائى[374].

وأرجو أن ترى أضعافَ ما ذكروه في كتاب "عِزَّة العُلَماءِ" يسَّر الله إتمامَه وطَبْعَه.

وقد كان العُلماء يُلَقِّنوُن طُلاَّبَهم حِفْظَ قصيدةِ الجُرجاني علىّ بن عبد العزيز (م سنة 392هـ) رحمهُ الله تعالى كما نَجِدُها عند عَدَدٍ من مُترجميه ومطلعُها:

يَقُولون لي فيك انْقِبَاضٌ وإنَّما ... رَأَوْا رَجُلاً عن مَوْضِعِ الذُّلِّ أحْجَم

أرى النَّاسَ مَنْ داناهمُ هَانَعِنْدَهُم ... وَمَن أَكْرَمَتْهُ عِزَّةُ النَّفْسِ أُكْرِما

وَلَوْ أَنَّ أَهَلْ العِلْمِ صانُوه صانَهم ... ولو عَظَّموه في النُّفُوس لَعَظَّما

(لَعَظَّما) بفتح الظاء المعجمة المُشَالَةِ.

---

373 – مطبوع مراراً.

374 – طبع بجدة عام(1407هـ)- نشر دار الوفاء – بجدة.

47- صيانة العلم:

إنْ بَلَغْتَ مَنْصِباً؛ فتذكَّر أنَّ حَبْلَ الوصلِ إليه طلُبك للعلم، فَبِفَضْلِ الله ثُمَّ بسببِ علمِك بَلَغْتَ ما بَلَغْتَ من ولايةٍ في التعليمِ، أو الفُتيا، أو القضاءِ .... وهكذا فأَعْطِ العِلْمَ قَدْرَهُ وحَظَّه من العَمَل به وإنزاله مترلَته.

واحْذَر مسلَكَ من لا يَرْجُونَ لله وَقَاراً، الَّذين يَجْعلون الأساسَ (حِفْظَ المنصبِ) فَيَطْوون ألسنَتهم عن قولِ الَحقِّ، ويحملُهم حُبُّ الولايةِ على المجاراةِ.

فالْزَم – رحمكَ اللهُ – الُمحافَظةَ على قِيمَتِكَ بحفظِ دينكِ وعلمِك، وَشَرفِ نفسِك، بحكمةٍ ودرايةٍ وحُسْنِ سياسةٍ:"احْفَظِ اللهَ يَحفَظْك " " احْفَظِ اللهَ في الرَّخاء يَحْفَظْك في الشَّدَّةِ".

وإنْ أَصْبَحْتَ عاطلاً من قلادةِ الولايةِ وهذا سبيلُكَ ولو بَعْدَ حينٍ فلا بَأْسَ، فإِنَّهُ عَزْلُ محمدةٍ لا عَزْلُ مذمَّةٍ ومنقصةٍ.

ومن العجيبِ أَنَّ بعضَ من حُرِمَ قَصْدًا كبيراً من التّوفيقِ لا يكونُ عنده الالتزامُ والإنابةُ والرجوعُ إلى الله إلاَّ بعد (التّقاعُد) فهذا وإنْ كانت توبتُه شَرعيَّة، لَكنَّ دينَه ودين العجائزِ سواءٌ إذ لا يتعدَّى نفعُه، أما وقتَ ولايتِه، حالَ الحاجةِ إلى تعدِّى نفعِه، فتجدُه من أعظم النّاس فُجوراً وضَرَراً، أو بارد القلبِ أخرسَ الِّلسانِ عن الحقِّ.

فنعوذُ باللهِ من الخُذلانِ.

48- المُدارَاة لا المُداهَنة:

المُداهَنة خُلُقٌ مُنْحَطٌّ، أمّا المُداراةُ؛ فلا، لكنْ لا تَخْلِط بيَنهما، فتحمِلَك المداهنةُ إلى حَضَارِ النفاقِ مجاهرةً، والمُداهَنةُ هي التي تَمسُّ دينَك[375].

قال ابن حبان [376]: متى تخلّق المرء بخلق شَابَهُ- أي خالطه - بعض ماكره الله منه في تخلّقه ،فهذا هو المداهنة ،أمّا المداراة هي مادعاك إلى إصلاح أحوالك من غير ثلم في الدّين من جهة من الجهات " .

وعن جابر بن عبدالله ﷺ قال قال رسول الله ﷺ « لما نزلت سورة براءة قال بعثت بمداراة الناس » [377].

قال سهل: فمن خالطهم-أي النّاس - داراهم و لم يمارهم ، فإنّ مداراتهم صدقة ،ومداراة الوالد فريضة ،ومداراة ذوي الأرحام سنّة ،ومداراة السلطان طاعة، ومداراة أهل البدع مداهنة، ومداراة الأحمق شرف".

وقال ابن القيم [378]: المداراة صفة مدح ،والمداهنة صفة ذمّ، والفرق بينهما أنّ المدارى يتلطّف بصاحبه حتّى يستخرج منه الحقّ ،أو يردّه عن الباطل ، والمداهن يتلطّف به ليقرّه على باطله ويتركه على هواه ،فالمداراة لأهل الإيمان ،والمداهنة لأهل النّفاق ؛وقد ضُرِب لذلك مثلٌ مطابقٌ : وهو حال رجل به قرحة قد آلمته فجاءه الطّبيب المداوي الرّفيق فتعرّف حالها ،ثمّ أخذ في تليينها

---

375 – انظر:''الغرباء'' للآجرى (ص79-80) مهم، و''روضة العقلاء''(ص70) لابن حبان.

376 –روضة العقلاء لابن حبان بتصرف (70) .

377 – رواه البهيقي في شعب الإيمان (351/6)

378 – الروح (231/1).

حتّ إذا نضجت، أخذ في بَطِّها برفق وسهولة حتّ أخرج ما فيها، ثمّ وضع على مكانها من الدّواء والمرهم ما يمنع فساده ويقطع مادته ،ثم تابع عليها بالمراهم الّتي تنبت اللّحم، ثمّ يذرّ عليها بعد نبات اللّحم ما ينشف رطوبتها ،ثمّ يشدّ عليها الرّباط ،ولم يزل يتابع ذلك حتّ صلحت ؛ والمداهن قال لصاحبها: لا بأس عليك منها، وهذه لا شيء فاسترها عن العيوب بخرقة، ثمّ الْهَ عنها ، فلا تزال مدّها تقوى، وتستحكم حتّ عظم فسادها".

وقال الغزالي[379]:إنّ الفرق بين المداراة و المداهنة ،الغرض الباعث على الإغضاء ،فإن أغضيت لسلامة دينك ولما ترى من إصلاح أخيك بالإغضاء فأنت مُدار ،وإن أغضيت لحظّ نفسك واجتلاب شهواتك وسلامة جاهك فأنت مداهن ".

وكثير من هذه الأخلاق التي مرت في ثنايا الحلية المباركة كانت ولاتزال لباس أهل الطلب للعلم في جميع العصور والدهور وقد نظم بعضهم بعض هذه الآداب كما نقل ذلك حافظ المغرب والمشرق أبوعمر ابن عبد البر فقال رحمه الله تعالى : في كتابه جامع بيان العلم وفضله[380] – وقد أوردت هذا هنا لما أورده بسببه الحافظ – فقال : (وأحسن ما رأيت في آداب التعلم والتفقه من النظم ما ينسب إلى اللؤلؤي من الرجز،وبعضهم ينسبه إلى المأمون ، وقد رأيت إيراد ما ذكر من ذلك لحسنه ، ولما رجوت من النّفع به لمن طالع كتابي هذا ، نفعنا الله وإياه به قال :

---

379 – إحياء علوم الدين للغزالي (182/2).

380 – جامع بيان العلم وفضله (146/1-148) .

واعلم بأن العلم بالتعلمِ ... والحفظِ والإتقانِ والتفهمِ
والعلمُ قد يُرزَقه الصغيرُ ... في سنه ويُحرم الكبيرُ
وإنما المرءُ بأَصْغَرَيْهِ ... ليس برجليْه ولا يديهْ
لسانُه وقلبُه المركبُ ... في صدرِهِ وذاك خلقٌ عَجبُ
والعلمُ بالفهمِ وبالمذاكرَهْ ... والدرسِ والفكرةِ والمناظرَه
فربَّ إنسانٍ يَنال الحِفْظَا ... ويُوردُ النصَّ ويَحكي اللَّفْظَا
وما له في غيرِهِ نصيبُ ... مِمّا حواه العالمُ الأديبُ
وربّ ذي حرصٍ شديد الحبِّ ... للعلمِ والذكر بليد القلبِ
معجز في الحفظِ والروايهْ ... ليستْ له عمّن رَوَى حِكايهْ
وآخرُ يُعطى بلا اجْتهادِ ... حفظاً لما قد جاء في الإسنادِ
يهذه بالقلب لا بناظرهْ ... ليس بمضطرٍ إلى قماطرهْ
فالتمسِ العلمَ وأَجْمِل في الطلَبْ ... والعلم لا يَحسنُ إلا بالأدبْ
والأدبُ النافعُ حسنُ الصمتِ ... وفي كثير القولِ بعضُ المقتِ
فكُن لحسن السمت ما حيَيتَا ... مقارناً تُحمد ما بقيتَ
وإنْ بدت بين أناسٍ مسألهْ ... معروفةٌ في العلمِ أو مُفتعَلهْ
فلا تكن إلى الجوابِ سابقاً ... حتى تَرَى غيرَك فيها ناطقاً
فكم رأيتُ من عجولٍ سابقِ ... من غير فهمٍ بالخطأ ناطقِ
أزرى بهِ ذلك في المجالسِ ... عند ذوي الألبابِ والتنافسِ
وقُلْ إذا أعياكَ ذاك الأمرُ ... مالي بما تسأل عنه خُبْرُ
فذاك شطرُ العلمِ عند العلما ... كذاك ما زالتْ تقول الحُكما

والصمت فاعلم بك حقاً أزيـــــن ... وإنْ لم يكن عندك علـــمٌ مـــــتقنُ
إياك والعجب بفـــــضل رأيكـــا ... واحذر جوابَ القولِ من خطائكـــا
كم من جوابٍ أعقبَ الندامـــــهْ ... فاغتَنِمِ الصـــمتَ مـــع الســـــلامهْ
العلـــم بـــحرٌ منـــتهاه يبـــــعد ... لـــيس لـــه حـــدٌ إليـــه يقصـــــدُ
وليس كلُّ العلـــمِ قد حـــــويتَه ... أجَل ولا العُشر ولـــو أحصـــــيتَه
وما بَقِـــي عليـــكَ منه أكـــــثرُ ... مما علِـــمتَ والجـــوادُ يَعـــثْرُ
فكُنْ لمـــا سمـــــعتَهُ مســـــتفِهما ... إن أنتَ لم تفـــهمْ منـــــه الكلِمـــا
القول قـــولانِ : فقولٌ تعـــــقِلُهْ ... وآخـــرُ تسمـــعُهُ فتـــجـــهَلُـــــهْ
وكـــل قـــولٍ فـــلـــهُ جـــوابُ ... يجمعـــــهُ البـــــاطلُ والصـــوابُ
ولـــلـــكـــــلامِ أولٌ وآخـــــرُ ... فافهمهما والذهنُ منـــك حـــــاضرُ
فربما أعـــيْا ذوي الفضـــائـــــلِ ... جواب ما يُلـــقى مـــن المســـــائلِ
فيُمسكوا بالصمتِ عن جـــــوابهِ ... عند اعتـــراضِ الشـــكِّ في صـــوابهِ
ولو يكون القـــولُ في القيـــــاسِ ... من فضَّةٍ بيضـــاءَ عنـــد النـــــاسِ
إذاً لكان الصمتُ من خير الذهبْ ... فـــافهم هـــداك الله آداب الطلـــبْ

***

49- الغَرامُ بالكُتُب[381]:

شَرَفُ العلمِ معلومٌ؛ لِعُمومِ نفعهِ، وشدَّةُ الحاجةِ إليه كحاجةِ البَدَنِ إلى الأنفاسِ، وظهورُ النّقصِ بَقَدَرِ نقصِه، وحصولُ اللَّذَّةِ والسُّرورِ بقدر تحصيلِهِ؛ ولهذا اشتَّد غَرَامُ الطُّلاَّب بالطَّلَبِ والغرامُ بجمع الكُتُب[382] مع الانتقاءِ؛ ولهم أخبارٌ في هذا تطولُ وفيه مُقَيَّداتٌ في "خَبَر الكتاب" يسَّر اللهُ إتمامَه وطبعَه.

وعليه؛ فَأَحْرِزِ الأُصولَ من الكُتُبِ، واعْلَم أنَّه لا يُغْنى منها كتابٌ عن كتابٍ، ولا تَحْشُرْ مكتبتك وتُشَوِّشْ على فِكْرِك بالكُتُبِ الغُثائية، لا سَّـيما كُتُبَ المبتدعةِ، فإنَّها سُمٌّ ناقِعٌ.

ولاتحقرنّ أيّ كتاب فإنّه (لايخلو كتاب من فائدة)كما قال ابن الجوزي رحمه الله تعالى . ولله در شوقي حين يقول :

تجد الكُتْب على النّقد كما تجد الإخـــوان صـــدقا وكِذابا
فتخيـــّرها كما تخـــتاره وادّخر في الصّحب والكتب اللّبـــابا

ومن طريف ما يروى في غرام العلماء بالكتب قول أبي الحسن علي بن أحمد الفالي[383] (ت 448) لما افتقر واحتاج إلى بيع كتاب الجمهرة ،وهو مـــن

---

[381] – انظر: روضة المحبين''(ص68-69) مهم، و''مفتاح دار السعادة''(ص81) ففيهما أخبار ظريفة وحكايات طريفة.

[382] – انظر كتاب ((عشاق الكتب)) لعبد الرحمن يوسف الفرحان ففيه كثير من أخبارها .

[383] – انظر خبره في وفيات الأعيان لابن خلكان في ترجمة الشريف الرضى (337/1) وعنه أبوغدة في كتابه صفحات من صبر العلماء (264)

أعز مايملك وقد كان كتب في إحدى صفحاتها فرد المشتري له الكتاب لما قرأ الأبيات وجعله من الدنانير في حل وهذا من شيم الكرام :

أنست بها عشرين حولا وبعتها لقد طال وجدي بعدها وحنيني
وماكان ظنّي أنّني سأبيعها ولو خلدتني في السّجون ديوني
ولكن لضعفٍ وافتقارٍ وصبيةٍ صغارٍ عليهم تستهل شؤوني
فقلت :و لم أملك سوابق عبرتي مقالة مكوي الفؤاد حزين
وقد تخرج الحاجات يأأم مالك كرائم من رب بهن ضنين

50- قِوَامُ مكتبتِك:

عليك بالكُتُب المنسوجة على طريقةِ الاستدلال، والتفقُّهِ في عِلَلِ الأحكام، والغَوْصِ على أسرار المسائلِ؛ ومن أَجَلِّهَا كُتُبُ الشيخين: شيخ الإسلام ابن تيمّية رحمه الله تعالى، وتلميذهِ ابن قَيِّم الجَوْزِيَّة رحمه الله تعالى.

وعلى الجادّة في ذلك مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ كُتُبُ:

1 -**الحافظ ابن عبد البَّر (م سنة 463هـ) رحمه الله تعالى وأجلُّ كتبه"التمهيد".**
2 -**الحافظُ ابنُ قُدامةَ (م سنة 620هـ) رحمه الله تعالى، وأَرْأَسُ كتبهِ "المغْنى".**
3 -**الحافظُ ابنُ الذُّهَبي (م سنة 748هـ) رحمه الله تعالى.**
4 -**الحافظُ ابنُ كثيرٍ (م سنة 774هـ) رحمه الله تعالى.**
5 -**الحافظ ابن رَجَب (م سنة 795هـ) رحمه الله تعالى.**
6 -**الحافظُ ابن حَجَر (م سنة 852هـ) رحمه الله تعالى.**

7 -الحافظ الشَّوْكاني (م سنة 1250هـ) رحمه الله تعالى.

8 -الإمامُ محمد بن عبد الوهَّاب (م سنة 1206هـ) رحمه الله تعالى.

9 -كتبُ عُلماءِ الدعوة ومن أجمعها "الدُّرَر السَّنِيَّة".

10 -العلاَّمة الصَّنْعاني (م سنة 1182هـ) رحمه الله تعالى، لا سيَّما كتابة النافع "سُبُل السلام".

11 -العلاَّمة صِدِّيق حسن خانَ القنَّوجي (م سنة 1307هـ) رحمه الله تعالى.

12 -العلاَّمة محمد الأَمين الشَّنقيطي (م سنة 1393هـ) رحمه الله تعالى لا سيما كتابة:"أضْواء البَيَان".

وذكر الذهبي في ترجمة ابن حزم أربعة كتب هي بحقّ أصول كتب الأحكام وهي:

المغني لابن قدامة ، وسنن البيهقي ، والتّمهيد لابن عبدالبر ، والمُحلّى لابن حزم . قلت: وزاد آخرون فتاوى ابن تيمية رحمه الله تعالى ،وفتح الباري للحافظ ابن حجر . فعليك بمراجعتها يا طالب العلم دائماً، وليت عندك صبر وجلّد لتقرأها جميعاً ولو مرةً واحدة.

51- التَّعامُلُ مع الكتابِ:

لا تستفِد من كتابٍ حتّى تعرفَ اصطلاحَ مُؤلِّفِهِ فيه، وكثيراً ما تكونُ المُقدِّمَةُ كاشفةً عن ذلك، فابْدَأْ من الكتابِ بقراءةِ مُقَدِّمتهِ.

52- وَمِنْهُ:

إذا حُزْتَ كتاباً؛ فلا تُدْخِلْه في مكتبتِك إلاَّ بعدَ أن تَمُرَّ عليه جَرْداً، أو قراءةً لِمُقَدَّمَتِهِ، وفهرسهِ، ومواضعَ منه، أمّا إنْ جَعَلْتَه مع فنِّه في المكتبةِ؛ فَرُبَّما مَرَّ زمانٌ وفاتَ العُمُرُ دونَ النَّظَرِ فيه، وهذا مُجَرَّبٌ واللهُ المُوَفِّقُ.

53-إعجامُ الكتابةِ:

إذا كَتَبْتَ فأعْجِمِ الكتابةَ بإزالةِ عُجْمَتِها، وذلك بأُمورٍ:

1- وضُوحُ الخَطِّ

جاء في ترجمة أبي العلاء الهمذاني الحسن بن أحمد بن سهل العطار المتوفى سنة(569) رحمه الله تعالى :وكان قد حصل الأصول الكثيرة ،،، مع تحصيل أصول ماسمع ،وجودة النسخ ،وإتقان ماكتبه بخطه ،فإنه ماكان يكتب شيئا إلا منقطا معربا)،

2-رسمُهُ على ضوءِ قواعدِ الرسمِ (الإملاء). وفي هذا مؤلَّفات كثيرةٌ من أهمِّها:

"كتابُ الإملاء "لحسين والى[384].

"قواعد الإملاء" لعبد السلام محمد هارون[385].

"المُفْرَد العَلَم "للهاشِمى، رحمهم الله تعالى[386].

3- النَّقْطُ لِلْمُعْجَم والإهمالُ لِلْمُهْمَل[387].

---

384 – طبع ثم صور عام (1405هـ) بيروت / دار القلم.

385 – طبع الخانجى بمصر عام (1399هـ) الطبعة الرابعة.

386 – الطبعة الثانية والعشرون، المكتبة البخارية الكبرى بمصر.

4- الشَّكل لما يُشْكِل.

5- تثبيتُ علاماتِ الترقيمِ في غير آيةٍ أو حديثٍ[388].

---

[387] - لأن الترك يؤدى إلى الاشتباه. (م) فائدة:كلمة لدغ ،ولذع إما بإعجام العين أو الدال ،ولاتوجد كلمة بدونهما ،ونظمها بعضهم بقوله : ولدغ لذي ســـــم بإهمال أول وبالنار بالإهمال في الثاني فاعرفا

والاعجام في كلّ والاهمال فيهما من المهمل المتروك حقا بلا خفا انظر الصبابات (50)

[388] -"الترقيم وعلاماته"، أحمد زكى باشا، طبع عام 1330هـ.

الفصل السابع
الْمحَاذيرُ

54- حِلْمُ الْيقَظَةَ:

إيَّاك و(حِلْمَ الْيَقَظَة)، ومنه بأنْ تَدَّعي العلمَ لما لم تَعْلَم، أو إتقانَ ما لم تُتقِن، فإنْ فَعَلْتَ؛ فهو حجابٌ كثيفٌ عن العلمِ.

55- احْذَرْ أَنْ تكونَ "أبا شبر"[389].

فقد قيلَ: العِلْمُ ثلاثةُ أشبارٍ، مَنْ دَخَلَ في الشِّبْرِ الأولِ، تكبَّر ومن دَخَلَ في الشِّبْرِ الثانى؛ تواضَعَ، ومَنْ دخل في الشِّبْرِ الثالث؛ علم أنه ما يَعْلَمُ.

56- التَّصَدُّر قبلَ التأهُّلِ:

احذر التصدر قبل التأهل، هو آفة في العلم والعمل.

وقد قيلَ: مَن تصدَّر قبَل أوانِه، فقد تصدَّى لِهَوَانَهِ.

57- التَّنَمرُّ بالعِلْمِ:

احْذَر ما يَتَسَلَّى به المُفْلِسون من العِلْم، يراجعُ مسألةً أو مسألتين، فإذا كان في مجلسٍ فيه مَنْ يُشَارُ إليه؛ أثارَ البَحْثَ فيهما، لِيُظْهِرَ عِلْمَهُ! وكم في هذا من سوأةٍ، أقلُّها أنْ يعلَم أنَّ الناسَ يعلمون حقيقَته.

---

389 -"تذكرة السامع والمتكلم"(ص65).

وقد بَيَّنْتُ هذه مع أخواتٍ لها في كتاب "التعالُم"، والحمـــدُ لله ربِّ العالَمين.

58- تَحْبِيرُ الكَاغَدِ:

كما يكونُ الْحَذَرُ من التأليفِ الخالي مـــن الإبـــداعِ في مقاصـــدِ التأليفِ الثمانيةِ[390]، والذي نهايتُه "تحبيرُ الكاغَدِ"[391] فالْحَذَرَ من الاشتغالِ بالتصنيفِ قبل استكمالِ أدواتِهِ، واكتمالِ أهليَّتك، والنُّضـــوجِ علـــى يَـــدِ أشياخِك؛ فإنَّك تُسَجِّلُ به عاراً وتُبدى به شَنَاراً.

أمَّا الاشتغالُ بالتأليفِ النافعِ لمن قامت أهليَّتُه، واســـتكمل أدواتِـــه، وتعدَّدَتْ معارفُه، وتمرَّس به بحثاً ومُراجعةً، ومطالعةً، وجَرْداً لمطوَّلاتِه، وحِفْظاً لمختصراتِه، واسْتِذْكَاراً لمسائلِه؛ فهو من أفضلِ ما يقومُ بـــه النـــبلاء مـــن الفُضَلاءِ.

ولا تَنْسَ قولَ الخطيب:

"مَنْ صَنَّفَ؛ فقد جعل عَقْلَه على طَبَق يَعْرِضُه على النَّاسِ".

---

390 – أول من ذكرها أبن حزم في:"نَقْط العروس"، وانظر تسلسل العلماء لذكرها في:"إضاءة الرامـــوس"(288/2) مهم.

391 – هو القِرْطَاسُ: فارسيٌّ معرَّب.

59- مَوْقِفُك من وَهَم مَنْ سَبَقَكَ:

إذا ظَفِرْتَ بِوَهَمٍ لعالِمٍ، فلا تَفْرَح به لِلْحَطِّ منه، ولكنِ افْرح به لتصحيح المسألةِ فقط؛ فإنَّ المُنْصِفَ يكادُ يجزمُ بأَنه ما من إمامٍ إلاّ وله أغلاطٌ وأوهامٌ لا سيَّما المُكْثرين منهم.

وما يُشَغِّبُ بهذا ويَفْرَحُ به للتنقُّص، إلاَّ متعالٌم "يريدُ أن يُطِبَّ زُكَامَاً فُيْحدِثَ به جُذَامَاً"[392].

نَعَم؛ يُنَبَّه على خطأ أو وَهَم وَقَع لإمام غُمِرَ في بَحْرِ عِلْمِه وفضلِهِ، لكنْ لا يثُير الرَّهَجَ عليه بالتنقُّصِ منه والحَطِّ عليه فيغترَّ به مَنْ هو مِثْلُهُ.

والنّاس أجناس مختلفة الطبّاع كاختلاف البهائم قال سفيان بن عيينة رحمه الله تعالى :مافي الأرض آدمي ،إلا وفيه شبه من البهائم :فمنهم من يهتصر اهتصار الأسد ،ومنهم من يعدو عدو الذئب ،ومنهم من ينبح نباح الكلب ،ومنهم من يتطوس كفعل الطاووس ،ومنهم من يشبه الخنازير التي لو ألقي إليها الطعام الطيب ،عافته ،فإذا قام الرجل عن رجيعه ولغت فيه ،فلذلك تجد من الآدميين من لو سمع خمسين حكمة ؛لم يحفظ واحدة منها ،وإن أخطأ رجل ترواه وحفظه " ، قال الخطابي رحمه الله تعالى :ماأحسن ماتأول سفيان هذه الآية ،واستنبط منها هذه الحكمة ،وذلك أن الكلام إذا لم يكن حكمه مطاوعا لظاهره ،وجب المصير إلى باطنه ....)[393].

---

[392] -"مجمع البلاغة" للراغب.

[393]- العزلة للخطابي (65).

60- دفْعُ الشُّبُهاتِ[394]:

لا تَجْعَل قَلْبَك كالسِّفِنْجة تتلقَّى ما يَرِدُ عليها، فاجْتَنِبْ إثارةَ الشُّبَهِ وإيرادَها على نفسك أو غيرك، فالشُّبَهُ خَطَّافةٌ، والقُلُوبُ ضعيفةٌ، وأكثرُ مَنْ يُلْقِيهَا حَمَّالَةُ الحَطَب – المبتدعةُ – فَتَوَقَّهُمْ.

61- احْذَرِ اللَّحنَ:

ابْتَعِدْ عن اللَّحَنِ في اللَّفْظِ والكَتْبِ، فإنَّ عَدَمَ اللَّحْنِ جلالةٌ، وصفاءُ ذوقٍ، ووقوفٌ على مِلاَح المعاني لسلامةِ المباني:

فعن عُمَرَ رضي الله عنه أنه قال:

"تَعَلَّموا العربيَّةَ؛ فإنَّها تزيدُ في المروءةِ"[395].

وقد وَرَدَ عن جماعةٍ من السَّلَف أنهم كانوا يَضْرِبون أولادَهم على اللَّحْنَ[396].

وأسند الخطيبُ [397]عن الرَّحْبي قال:

"سمعتُ بعضَ أصحابِنا يقولُ: إذا كَتَبَ لَحَّانٌ، فَكَتَبَ عن اللَّحَّانِ لَحانٌ آخر؛ صار الحديثُ بالفارسيةِ[398]"!

---

394 – مفتاح "دار السعادة"(ص153).

395 –"الجامع"(25/2) للخطيب.

396 – "الجامع"(29/2، 28).

397 – "الجامع" (28/2).

وأنشد المُبَرِّد[399]:

النَّحْوُ يَبْسُـــــطُ من لسانِ الأَلْكِنِ والمرءُ تُكْـــــــــرِمْهُ إذا لَمْ يَلْحَـــنِ

(لحـــــــن الشريف محطة مـــن قـــدره فتراه يسقط من لحـــــــاظ الأعـــين

وتـــرى الـــدني إذا تكلـــم معربـــا حـــاز النهايـــة باللســـان المعلـــن)

فَـــإِذَا أَرَدْتَ مِـــنَ العُلُـــومِ أَجَلَّهـــا فَأَجَلُّهَـــا مِنْهـــا مُقِـــيمُ الأَلْسُـــنِ[400]

وعليه؛ فلا تَحْفَلْ بقولِ القاسمِ بن مُخَيْمِرة رحمه الله تعالى:

"تعلُّمُ النَّحْوِ: أولُه شغلٌ، وآخرهُ بغيٌ".

ولا بقولِ بِشْرٍ الحافي رحمه الله تعالى:

"لَمَّا قيلَ له: تعلَّم النحوَ قال: أَضِلُّ، قال: قُلْ ضَرَبَ زيدٌ عَمْراً.

قال بِشْرٌ: يا أخي! لِمَ ضَرَبَهُ؟ قال: يا أبا نَصْرٍ! ما ضَرَبَه وإنما هـــذا أصلٌ وُضِعَ. فقال بِشْرٌ: هذا أولُه كَذِبٌ، لا حاجةَ لي فيه".

رواهما الخطيب في"اقتضاء العلم العمل".

قال الشيخ محمد صالح بن عثيمين رحمه الله تعالى : وإنّك لترى الرّجـــل قد تخرج من الكليّة، وهو لا يعرف عن النّحو شيئاً يتمثل بقول الشاعر:

---

398 – "الجامع"(28/2).

399 – "الجامع"(28/2).

400 – لبعض العلماء "تعقيبٌ على ما أنشده المبرد من أن أجل العلوم علم التوحيد، لكن الجلالة هنا نسبة إلى علوم الآلة. والله أعلم . (م) والمعقب هنا هو شيخ الإسلام ابن عبد البر حيث قال :إن قائل هذا لوكان مهتديا لقال :فأجلها مقيم الأدين) انظر الآداب الشرعية لابن مفلح (235/2) وفي الموضع المشار له حكايات عن اهتمام الأمراء قديما بلسان العرب ،وانظر لحال أمتنا اليوم في تنافس أمرائها فمن دونهم في تعلم لغة الغالب، وليتهم تعلموها للدعوة لدين الله تعالى بل ليستدلوا على أنفسهم أنهم متقدمون فإلىالله المشتكى.

لا بارك الله في النحو ولا أهلـــه إذا كان منســـوبا إلى نفطويه

أحـــرقه الله بنصـــف اســـمه وجعل البـــاقي صـــراخاً عليه

لماذا قال الشاعر هذا الكلام ؟ الجواب: لأنّه عجز عن النحو، ولكـــن أقول إن النحو بابه من حديد ودهاليزه قصب يعني أنه شديد وصعب عند أول الدخول فيه، ولكنه إذا انفتح الباب لطالبه سهل عليه الباقي بكل يسر وصـــار سهلاً عليه، حتى إن بعض طلبة العلم الذين بدءوا في النحو صاروا يعشقونه فإذا خاطبتهم بخطاب عادي جعل يعربه ليتمرن على الإعراب)[401].

62- الإجهاضُ الفِكْري:

احْذَرِ (الإجهاضَ الفِكْرِّي)؛ بإخراجِ الفكرةِ قبل نُضوجِها.

63- الإسرائيليات الجديدة[402]:

احْذَر الإسرائيلِّياتِ الجديدةَ في نَفَثاتِ المستشرقين؛ من يهودٍ ونصـــارى؛ فهي أشدُّ نكايةً وأعظمُ خَطَراً من الإسرائيليات القديمةِ؛ فإنَّ هذه قد وَضَـــحَ أمُرها ببيانِ النَّبِّي صلى الله عليه وسلم الموقفَ منها، وَنَشْر العُلماءِ القَـــوْلَ فيها، أمّا الجديدةُ المُتَسَرِّبَةُ إلى الفِكْرِ الإسلامِّي في أعقابِ الثورةِ الحضـــاريّةِ واتِّصال العالم بعضِه ببعضٍ، وكَبْح المدِّ الإسلامِّي؛ فهي شَرٌّ محـــضٌ، وبـــلاءٌ

---

401 – كتاب العلم لابن عثيمين .

402 – مقاصد الشريعة الإسلامية ومكارمها لِعَلالٌ الفاسي (صفحة ب).

مُتَدَفِّقٌ، وقد أَخَذت بعضَ المُسلمين عنها سِنَةٌ، وخَفَضَ الجَناحَ لها آخـــرون، فاحْذَر أن تَقَعَ فيها. وقى اللهُ المسلمين شَرَّها.

64- احْذَر الْجَدَلَ البِيزَنْطِيِّ[403]:

أي الجَدَل العقيمَ، أو الضَّئيل، فقد كان البِيزَنْطِيُّون يتحاورون في جِنْس الملائكةِ والعَدُوُّ على أبوابِ بلدتِهِم حتى داهَمَهُم.

وهكذا الجدلُ الضئيلُ يَصُدُّ عن السبيلِ.

وهَدْيُ السَّلَفِ: الكفُّ عن كثرةِ الخِصَامِ والجِدَالِ، وأنَّ التوسُّعَ فيه مـــن قِلَّةِ الوَرَعِ؛ كما قال الحَسَنُ إذ سَمِعَ قوماً يتجادلون:

"هؤلاء ملُّوا العِبَادةَ، وخَفَّ عليهم القولُ، وقلَّ وَرَعُهم، فتكلَّموا".

رواه أحمد "الزُّهد"، وأبو نُعَيم في "الحلية"[404].

65- لا طائفيةٌ ولا حِزْبِيَّةٌ يُعْقَدُ الوَلاَءُ والبَرَاءُ عليها[405]:

أهلُ الإسلامِ ليس لهم سِمَةٌ سوى الإسلام والسلامُ:

فيا طالبَ العلم! بارك اللهُ فيك وفي عِلْمِك؛ اطْلُبِ العلمَ، واطْلُبِ العَمَـــلَ، وادْعُ إلى اللهِ تعالى على طريقةِ السَّلَف.

---

403 – معجم التراكيب (ص280).

404 – وذكره الحافظ ابن رجب في "فضل علم السلف على الخلف".

405 – انظر: "فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية" (3/341-344،415-419،416فهو مهم و 4/46-154 مهم أيضا و 11/512، 514، 515و 3/342، 416- 421فهرسها و 36/179 – 180و 37/28).

ولا تَكُن خَرَّاجاً وَلاَّجاً في الجماعاتِ، فَتَخْرُجَ من السَّعَةِ إلى القوالبِ الضَّيِّقَةِ، فالإسلامُ كُلُّه لك جادَّةً وَمَنْهَجاً، والمسلمون جميعُهم همُ الجماعةُ، وإنَّ يَدَ اللهِ مع الجماعةِ، فلا طائفيةَ ولا حزبيةَ في الإسلام.

وأعُيذُك باللهِ أن تتصدَّع، فتكونَ نَهَّاباً بين الفِرَقِ والطوائفِ والمذاهبِ الباطلةِ والأحزابِ الغاليةِ، تعقدُ سُلْطانَ الوَلاَءِ والبراءِ عليها.

فَكُن طالبَ علمٍ على الجادَّة؛ تَقْفُو الأَثَرَ، وتَتَّبِعُ السُّنَنَ، تدعو إلى اللهِ على بصيرةٍ، عارفاً لأهلِ الفضلِ فَضْلَهم وسَابِقَتَهم.

وإنَّ الحزبية[406] ذاتَ المساراتِ والقوالبِ المُسْتَحْدَثَة الَّتي لم يَعْهَدْها السلف من أعظمِ العوائقِ عن العلمِ، والتّفريقِ عن الجماعةِ، فكم أَوْهَنَتْ حَبْلَ الاتحادِ الإسلامِّي، وغَشِيَت المسلمين بسببها الغواشي.

فاحْذَرْ رَحِمَكَ اللهُ أحزاباً وطوائفَ طافَ طائفُها، وَنَجَم بالشَّرِّ ناجُمها، فما هي إلاَّ كالميازيبِ؛ تجمعُ الماء كَدَراً، وتُفَرِّقُه هَدَراً؛ إلاَّ مَن رَحِمَهُ ربُّك، فصار على مِثْلِ ما كان عليه النبيُّ صلى الله عليه وسلم وأصحابُه رضي الله عنهم.

قال ابنُ القَيِّم رحمه اللهُ تعالى عند عَلاَمَةِ أهلِ العبوديةِ[407]:

---

406 – وفي "حكم الانتماء" لراقمه فوائد وزوائد .(م) يقول الإبراهيمي رحمه الله تعالى في الآثار (اتركوا الحزبية والخلافات السياسية لأهلها ،المضطلعين بها ،المنقطعين لها ،ودعوا كل قافلة تسير في طريقها ، وكل حامل لأمانة من أمانات الوطن مضطلعا بحملها ،قائما بعهده فيها حتى تنتهي تلك الأمانات بطبيعتها إلى حيلكم ،فتأخذوها بقوة واستحقاق ،واعلموا أن كل مايدعوكم إلى ذلك إنما يدعوكم ليضلكم عن سبيل العلم فهو مضل ،وكل مضل فهو مضر ،....إلى أن قال أنتم اليوم جنود العلم فاستعدوا لتكونوا غدا جنود العمل).

407 –"مدارج السالكين"(172/3).

"العَلاَمَةُ الثانية: قولُه:"ولم يُنْسَبُوا إلى اسمٍ"؛ أي:لم يَشْتهروا باسمٍ يُعرفون به عند الناسِ من الأسماءِ التي صارت أعلاماً لأهل الطريقِ.

وأيضاً؛ فإنَّهم لم يتقَّيدوا بَعَمل واحد يجري عليهم اسْمُهُ، فَيُعْرفُون به دون غيرهِ من الأعمال؛ فإنَّ هذا آفةٌ في العبوديةِ، وهي عبوديةٌ مُقَيَّدَةٌ.

وأمَّا العبوديةُ المُطْلَقَةُ؛ فلا يُعَرف صاحبُها باسمٍ معَّينٍ من معاني أسمائها؛ فإنَّه مجيبٌ لداعيها على اختلافِ أنواعِها، فَلَهُ مع كُلِّ أهل عبوديةٍ نصيبٌ يَضْرِبُ مَعَهم بسهمٍ؛ فلا يتقَّيد برسمٍ ولا إشارةٍ، ولا اسمٍ ولا بِزيٍّ، ولا طريقٍ وَضْعِّي اصطلاحِّي، بل إنْ سُئل عن شيخِه؟ قال:

الرسولُ. وعن طريقِه؟ قال: الأتِّباعُ. وعن خِرْقَتِهِ؟ قال: لباسُ التقوى. وعن مذهبه؟ قال: تحكيمُ السُّنَّة. وعن مقصدهِ ومطلبِهِ؟ قال: (يُرِيدُونَ وَجْهَهُ)(الكهف:28) وعن رباطِهِ وعن خَانْكاهُ؟ قال:(فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ رِجَالٌ لا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ)(النور: 36-37). وعن نَسبه؟ قال:

أبي الإسلامُ لا أَبَ لي سِوَاهُ إذَا افْتَخَرُوا بقيسٍ أو تَميمِ

وعن مأكلهِ ومشربهِ؟ قال:"مالكَ ولها؟ معها حِذاؤُها وسِقَاؤُها، تَرِدُ المَاءَ، وتَرْعَى الشجرَ، حتى تَلْقَى ربَّها".

وَاحَسْرَتَاه تَقَضَّى العُمْرُ وانْصَرَمَتْ ساعاتُه بين ذُلِّ العَجْزِ والْكَسَلِ

والقَوْمُ قد أَخَذَوا دَرْبَ النجاةِ سارُوا إلى المطْلَبِ الأعْلى على مَهَلِ

ثم قال:"قولُه:"أولئك ذخائرُ الله حيثُ كانوا"؛ ذخائرُ المَلِك: ما يُخَبَّأُ عنده، وَيذْخرهُ لمهماتهِ، ولا يبذُله لكُلِّ أحدٍ؛ وكذلك ذخيرةُ الرجلِ: ما يَذْخَرُه لحوائجِه ومهمَّاتِه. وهؤلاء؛ لَّما كانوا مستورين عن الناسِ بأسبابهم، غَيْرَ مُشارٍ إليهم، ولا مُتَمَيِّزين برسمٍ دونَ الناسِ، ولا مُنْتَسِبينَ إلى اسمِ طريقٍ أو مذهبٍ أو شيخٍ أو زِيٍّ؛ كانوا بمنزلةِ الذخائرِ المخبوءةِ.

وهؤلاء أبعدُ الخَلْقِ عن الآفاتِ؛ فإنَّ الآفاتِ كُلَّها تحتَ الرُّسومِ والتقُّيدِ بها، ولزُوم الطُّرُقِ الاصطلاحيَّةِ، والأوضاعِ المُتداوَلَةِ الحادثةِ.

هذه هي التي قَطعت أكثرَ الخَلْقِ عن الله، وهم لا يَشْعُرون.

والعَجَبُ أنَّ أهلَها هم المعروفون بالطَّلَبِ والإرادةِ، والسَّيْرِ إلى الله، وهم – إلاَّ الواحدَ بعد الواحدِ – المَقْطوعون عن الله بتلك الرسومِ والقُيودِ.

وقد سُئل بعضُ الأئمةِ عن السُّنَّةِ؟ فقال: ما لا اسم له سوى "السُّنَّةِ". يعني: أَنَّ أهلَ السُّنَّةِ ليس لهم اسمٌ يُنْسَبُون إليه سواها.

فَمِن الناس من يتقَّيد بلباسِ غيره، أو بالجلوسِ في مكانٍ لا يجلسُ في غيرِه، أو مِشْيةٍ لا يمشى غيرها، أو بِزِيٍّ وهيئةٍ لا يخرجُ عنهما، أو عبادةٍ معيّنةٍ لا يتعَّبد بغيرِها وإن كانت أعلى منها، أو شيخٍ مُعَيَّنٍ لا يلتفتُ إلى غيرِه وإن كان أقربَ إلى الله ورسولهِ منه.

فهؤلاء كلّهم محجوبون عن الظّفر بالمطلوب الأعلى، مصْدُودون عنه، قد قَيَّدَتْهم العوائدُ ،والرّسومُ، والأوضاعُ ،والاصطلاحاتُ عن تجريدِ المتابعةِ ،فَأَضْحوا عنها بمعزلٍ ،ومنزلتُهم منها أبعدُ منزلٍ ،فترى أحدَهم يتعَّبد بالرياضةِ والَخلْوةِ وتفريغِ القلبِ وَيَعُدُّ العلمَ قاطعاً له عن الطريقِ فإذا ذُكر له

الموالاةُ في اللهِ والمعاداةُ فيه والأمُر بالمعروفِ والنهيُ عن المنكر عَـــدَّ ذلـــك فُضولاً وشَرًّا وإذاَ رَأَوْا بينَهم من يقومُ بذلك؛ أخرجوه من بينهم وعَـــدُّوه غَيْراً عليهم فهؤلاء أَبْعَدُ الناسِ عن اللهِ ، وإن كانوا أَكْثَرَ إشارةً.

والله أعلم.

66- نوا قِضُ هذه الحِلْيَةِ

يا أخي! وقَانَا اللهُ وإياكم العَثَراتِ إنْ كُنت قرأت مُثُلاً من "حليةِ طالبِ العلمِ "وآدابه، وَعَلِمْتَ بَعْضاً من نواقِضها؛ فاعْلَم أَنَّ مِن أعظم خوارِمها المفسدةِ لِنِظَامِ عِقْدِها:

1 – إفشاءُ السِّرِّ؛ خيانة للأمانة ،لأن المجالس بالأمانة حتى ولـــو لم يشـــترط المتكلم .

2 – وَ نْقلُ الكلامِ من قَوْمٍ إلى آخَرين.نميمة وهي من كبائر الذنوب وكفـــى بحديث صاحبي القبرين خبرا .

3 – و الصَّلَفُ واللَّسَانة.تطاول وفهاهة .

4 – و كَثْرَةُ المزُاح . دليل على قلة عقل صاحبه .

5 – و الدُّخولُ في حديثٍ بين اثنين . حشر للمرء في مواطن العتب والبغضاء .

6 – و الْحِقد ُ؛ مناف لسلامة الصدور لأهل الصدور .

7 – و الَحَسدُ . معصية إمامها إبليس .

8 – و سوءُ الظَّنِّ . مفسدة للأخوة ،ومجلبة للتباغض والتجسّس .

9 – و مُجالَسةُ المبتدعةِ . داء ليس له دواء إلا الهروب إلى مجالسة أهل السنة العالمين العاملين .

10– و نقل الْخُطَى إلى المحارمِ؛ وضع للنفس في مرمى الاتهامات .

فاحْذَر هذه الآثامَ وأخواتِها واقْصُرِ خُطاك عن جميع الُمحرَمَّاتِ فإنْ فَعَلْتَ، وإلاَّ فاعْلَم أنك رقيقُ الديانةِ، خفيفٌ، لَعَّابٌ ، مُغْتابٌ، نَمَّام، فَأَنَّى لك أن تكونَ طالبَ علمٍ، يُشار إليك بالْبَنَان، مُنَعَّماً بالعلمِ والعملِ.

سدَّد اللهُ الخُطى، ومنحَ الجميعَ التقوى وحُسْنَ العاقبةِ في الآخرةِ والأولى ،وصلَّى اللَّهُ على نَبيِّنَا محمدٍ وعلى آلهِ وصحبهِ وسلَّمَ بَكْر بن عبد الله أبو زَيد في 1408/10/25هـ

يقول الفقير إلى عفو ربه أبو سليمان المختار بن العربي مؤمن الجزائري ثم الشنقيطي بعد الصّلاة والسلام على الهادي البشير ،لقد أنهينا هذا التّوشيح يوم الخميس 26/05/30الموافق لـ: 05/07/07– وذلك بعد سنة من تدريس حلية طالب العلم في الدورة العلمية الخامسة بدولة قطر وتحت إشراف وزارة الأوقاف والشؤو الإسلامية – نسأل الله أن ينفع بها آمين .

ثم أتبعتها بنظم الحلية للشّيخ : سلطان بن محمد بن سبهان الشّمريّ جزاه الله خيرا ،عسى أن تكون عونا لهم على فهمها وحفظها .

بسم الله الرحمن الرحيم

حادية أولي الفهم

في نظم (حلية طالب العلم)للشيخ بكر أبي زيد

ذات الوشاح تغنت وانثنت طربـــا ... وأشغلتك بلحظ يشـــتكي التعبـــا

فبت تشرب من كأس الهوى جـــذلا ... حتى سكرت فجزت النجم والشهبا

في سكرة العشق لم تبرح تغوص بهـــا ... فأسلمتك بـــواد الخـــزي منقلبـــا

لم تعشق المجـــد لم تكلـــف بطلبتـــه ... ولو فعلت لحزت العـــز والحســـبا

والعلم أثمن شـــيء أنـــت حاملـــه ... لو كنت تنصف فاق الدر والـــذهبا

وهذه حلية قـــد جئـــت أنظمهـــا ... قد سقتها بلطيف القـــول محتســـبا

في ثوب منتظم عـــن خـــير منتشـــر ... ممـــا تتبعـــه الشـــيخ الـــذي نجبـــا

فصل في أدب الطالب في نفسه

أصل الأصول هو الإخلاص فاجتهدن ... وجرد القلب للمولى تنل إربا
وعالج النفس واحملها وإن كرهت ... وابذل لنيل مقامات العلا سببا
لازم مراقبة المولى وخشيته ... وارجع لربك واستعصم به هربا
بل (خشية الله أصل العلم) قد أثرت ... هذي المقولة عمن أحرز الرتبا
أعني ابن حنبل من فاقت مناقبه ... نجم السماء ونجم الشيخ ما غربا
واخفض جناحك وانبذ كل داعية ... للكبرياء وألزم نفسك الأدبا
والحلم والصبر مع حسن الوقار وكن ... مع التواضع للإخلاص منتسبا
ولتحذر العجب من أدنى دقائقه ... حتى من المشي أن ترمى به طربا
ولتحبس النفس عن حب الظهور فمن ... أصابه ذاك حاز الخزي والتعبا
والزهد فالزمه فالزهاد رايتهم ... خير البيارق إن كل لها نصبا
واترك مطاردة الدينار واعجبا ... ممن يتابع ما يرديه واعجبا
وكن على سمت أهل العلم مهتديا ... بهديهم واترك التضييع واللعبا
لا تدمنن مزاحا فهو منقصة ... فكم من الشر والأحزان قد جلبا

من يكثر الشيء يجعل مـــن خصائصـــه بئس الذي لخصال السخف قد نســـبا
وانمـــا يســـتجاز المـــزح مقترنـــا بالسمت والظرف لا منهن قـــد ســـلبا
أفش الســـلام ولا تبطـــر وبـــش لمـــن تلقاه لا تمش بالوجـــه الـــذي شـــحبا
قف للحقوق ولا تأنف وكـــن رجـــلا في الحق لا تغش بعـــد العفـــة الريبـــا
واهجر تنعم أهل الزيف تلـــك حلـــى تؤنث الطبع ترخي الحـــس والعصـــبا
من اللبـــاس تـــزين ولـــتكن وســـطا لا جالبـــا ســـخطا لا مظهـــرا كـــذبا
لا تجلســـن بنـــاد فيـــه مفســـدة وارفع مقامك أن تغشـــى بـــه العطبـــا

صن ما اكتسبت عن الهبشات واجتهدن في حفظ نفسك عما يـــذهب الأدبـــا
تأمل الأمـــر تـــدرك لا تكـــن عجـــلا وللعبـــارة حـــرر ذاك قـــد وجبـــا

فصل كيفية الطلب والتلقي

يا من سلكت طريق العلم مجتهدا ... فلتستمع إن أردت البحث والطلبا
خذ بالأصول وأتقنها فإن ثبتت ... فقد ضربت بأطراف العلا طنبا
وابدأ بمختصر واحفظه معتنيا ... بضبطه عند شيخ في العلا رغبا
لا تشتغل بتفاريق مطولة ... وأنت لم تتقن الفن الذي وجبا
لا تنتقل دون ما يدعو لمختصر ... من بعد آخر لن تكسب سوى نصبا
قيد فوائد أهل العلم مقتنصا ... وبالضوابط فاجمع كل ما صعبا
على طريقة أهل العلم فاعن بها ... فهي الصراط لباغي العلم قد ضربا
فقد تدرج أهل العلم في كتب ... فخذ بما درسوا أنعم بها كتبا
ففي البداية في التوحيد خذ مثلا ... متن الأصول لشيخ أحرز الرتبا
ثم القواعد ثم الكشف بعدهما ... خذ من نصيبك في التوحيد ما وجبا
وفي الصفات فخذ عقيدة كتبت ... لأهل واسط فهي العذب منسكبا
ثم استمر بكتب الشيخ في صعد ... مستبطئا لا تكن في العلم مضطربا
والنحو من ملحة الإعراب تبدأه ... وقد يريد فتى للفهم منتدبا
والقطر لابن هشام والشروح على ... ألفية سلكت في بابها سربا

قوم لسانك بالإعراب واجتهدن ... فاللحن يشبه في إعداءه الجربا
وفي الحديث بمتن الأربعين فإن ... حفظتها فاملأن بالعمدة السغبا
أما البلوغ فأتقن حفظه أبدا ... واملأ أيا صاحبي من فقهه القربا
والمنتقى ثم في الست التي اشتهرت ... وهكذا سر لنيل المبتغى خببا
وفي اصطلاحاته خذ نخبة حسنت ... من بعدها خذ من الألفية الاربا
والفقه فلتدرس الآداب مبتدئا ... والزاد إن من استقصاه قد قربا
وعمدة الفقه ثم المقنع اكتملت ... ثلاثة من حواها أدرك اللقبا
ولتعقبن ذاك بالمغني فإن به ... فقه الخلاف فتجني منه ما غلبا
وفي الأصول فخذ متن الجويني ما ... قد خط من ورقات متنها عذبا
من بعدها روضة للناظر اكتملت ... فاجن العناقيد منها واقطف العنبا
وفي المواريث خذ ما خطه الرحبي ... والق الفرائض بالصدر الذي رحبا
كرر مسائلها واحفظ أدلتها ... ولتعرف الجمع والأجزاء والنسبا
واحفظ من الشعر ما يعطيك مقدرة ... تحسن بها النطق والتأليف والخطبا
أكثر مراجعة القاموس واستفته ... فإنه الركن يقضي الفصل إن طلبا
وهكذا تصبح الأوقات عامرة ... بالعلم تسبر في إدراكه الكتبا
والأصل في ذاك أن تأخذ على رجل ... يفري بحنكته الشيء الذي صعبا

فصل في أدب الطالب مع شيخه

ولترع شيخك بالتقدير واستمعن ... إليه ولتجمع التحصيل والأدبا
لا.. لا تقاطعه في درس فتقطعه ... عن المراد وكن للغو مجتنبا
لا.. لا تقل يا فلانا فهي منقصة ... بل قل أيا شيخنا إن كنت منتدبا
وإن بدا لك شيء فانصحن له ... لا تظهر الحقد عند النصح والغضبا

وإن اردت انتقـــالا عـــن مجالســـه فكن _هديت_ لإذن الشيخ مصـــطحبا
فإنـــه ناصـــح يعطيـــك خبرتـــه من نصحه تقطـف الرمـان والعنبـا
ولتســـتزد منـــه ولتطلـــب فوائـــده فالشـــيخ يخـــرج در العلـــم إن طلبـا
ولتكتـــب الـــدرس ولتعلمـــه في أدب فربما احتجـت يومـا للـذي كتبـا
واحذر مجالسة الشخص الذي انحرفـت به الطرائق عـن درب الهـدى نكبـا
لا يؤخذ العلم عن أهل الهـوى فـإذا جانبتهم كنت من أهل الهـدى الغربـا

فصل في أدب الزمالة

احـــذر معاشـــرة النفعـــي واجتـــنبن من يبتغي لـــذة إن كنـــت مصـــطحبا
وذا الفضـــيلة صـــاحب إذ بصـــحبته تلقـــى المكـــارم والأخـــلاق والـــدأبا
والناس مثل القطـا كـل فمكتسـب لاقى مثـيلا لـه فارتـاح واكتسـبا

فصل في آداب الطالب في حياته العلمية

كن في مجال الهدى ذو همـة طمحـت نحو العلا اجتازت الآفـاق والسـحبا
وانهل من العلم فالماضون قـد تركـوا للآخـرين مجـالا فاسـبر الكتبـا
وارحل لتأخـذ عـن شـيخ تلازمـه فإنمـا أبـرك الأعمـال مـا طلبـا
واجعـل لنفسـك للأبحـاث تـذكرة واحفظ كتابـك ممـا يجلـب العطبـا
فإن جمعـت أخـي مـا تسـتعين بـه على العلوم فرتـب كـل مـا كتبـا
واحفظ من العلم شـيئا تسـتدل بـه فإنمـا العلـم حفـظ فـافهم الطلبـا
تعهد الحفـظ مـن وقـت لآخـر إذ بعـض المسـائل إن أهملتـه ذهبـا
وكـن فقيهـا بارجـاع الفـروع إلى أصـولها فحـري منـك أن تثبـا
واعرف قواعد شـرع الله عـن نظـر إلى العمومات فالوحيـان مـا نضـبا

لا تفـــزعن إذا فاتتـــك مســـألة ... ولتدع ربك _ ترجو حلـها _ رغبـا
وفي التحمـــل والإبـــلاغ فاصـــطحبن ... أمانـــة العلـــم ولتســـتهجن الكـــذبا
تعلـــم الصـــدق قبـــل العلـــم تطلبـــه ... فصاحب الكذب عن نيل المنى حجبـا
ونصف علمك (لا أدري) فإن فقدت ... فأنت نحـــو هـــلاك تســـحب الـــذنبا
حافظ على الوقت للتحصيل وانقطعـــن ... ولتثن عند أســـاطين الهـــدى الركبـا
لا سيما قبـــل أن تصـــرفك مشـــغلة ... ولتغتنم قبـــل فـــوت عـــودك الرطبـا
وخـــذ لنفســـك وقتـــا تســـتجم بـــه ... مـــن اللطـــائف شـــيئا يطـــرد التعبـا
واعرض على الشيخ أجزاءا لتضـــبطها ... كمـــا الأئمـــة ممـــن للعـــلا وثبـا
وإن سألت فسل من غـــير مـــا عنـــت ... فـــإن أجابـــك فـــالزم عنـــده الأدبـا
لا.. لا تقل إن ذاك الشـــيخ خـــالفكم ... وكن لأخلاق أهـــل العلـــم منتســـبا
واتـــــرك مجادلـــــة يحتفهـــــا لغـــــط ... أهل السفاهة جـــروا وســـطها ذنبـا
ناظر إلى الحـــق مـــن يبغيـــه مجتهـــدا ... وانصحه باللطف كـــن في ذاك محتســـبا
اكثـــر مـــذاكرة عنـــد الجلـــوس إلى ... أهل البصـــائر ممـــن أدمنـــوا الكتبـا
ففـــي المطارحـــة استحضـــار ذاكـــرة ... إذا تجنبـــتم الإســـفاف والشـــغبا
واستكملن أدوات العلم فهـــي خطـــى ... من غيرها لـــن يكـــون الفـــن مقتربـا

فصل في التحلي بالعمل

العلـــم يهتـــف بالأعمـــال فـــالتزمن ... ما يقتضي العلم نهيـا كـــان أو طلبـا
وللخطيب كتـــاب قـــد حـــوى دررا ... في ذاك فاقرأه كي تروي بـــه الجـــدبا
أد الزكـــاة ببـــذل العلـــم تزكيـــة ... لا تكتم العلم واصدع بالـــذي وجبـا

صن عزة النفس واحم العلم من سفه ... فإن من صانه يرقى به الرتبا
واحذر مسالك من راموا المناصب لم ... يحموا الولاية أن يغشوا بها الريبا
واحذر مداهنة ترجو بها عرضا ... قل ما بدا لك لا تستعمل الكذبا
ولتجمع الكتب ولتختر أحاسنها ... لا.. لا تطع في شراء الكتب من عتبا
خذ من رسائل أهل العلم ما نسجت ... على التعمق فيما غاص واحتجبا
إذا اشتريت كتابا فلتطف عجلا ... على الذي فيه ولتستخبر الكتبا
ولتعرف الاصطلاحات التي وردت ... عند المؤلف تستثمر بذا التعبا
وإن كتبت فاعجم ذاك معتنيا ... بالنقط والشكل واضبط كل ما صعبا

فصل في المحاذير

إياك أن تدعي ما أنت فاقده ... كلابس ثوب زور يدعي العجبا
واخش التصدر قبل الفقه واشتغلن ... بالضبط والبحث واستذكار ما طلبا
لا.. لا تثر شبهات في إثارتها ... ما يقدح الشك يشعل بالجوى الحطبا
ولتحذر اللحن في الألفاظ واجتهدن ... في النحو لا.. لا تعب في ذلك العربا
فإنما القوم قد أرسوا قواعده ... وهذبوه إلى أن للورى هذبا
واحذر نكاية أعداء لنا نصبوا ... عبر الثقافة فخا يحمل العطبا
ولتحذر الجدل المردي لأودية ... من الضلال ومما يورث الشجبا
لا.. لا تحزب في الإسلام لا سمة ... غير التي اعتادها أسلافنا حقبا
فإنما تلك أحزاب تتبعها ... يردي قواك فلا تنعب كمن نعبا
الله يعصمنا من فتنة عبثت ... بالناس فاستعجلوا الأموال والنشبا
إن حزت ذلك فاعلم أن أعظم ما ... يردي ببنيانك العالي الذي انتصبا

إفشـــاء ســـرك أو نقـــل الكـــلام وأن ... تجلس لمبتـــدع في الســـوء قـــد رغبـــا
أو أن تكون حســـودا حاقـــدا لســـنا ... أو تكثر المـــزح بـــين النـــاس واللعبـــا
واقصر خطاك عن الممنوع وانصـــرفن ... عن المحـــارم كـــي تســـتكمل الأدبـــا
واخش الظنون ولا تجلس مجالس مـــن ... إتيـــانهم يجلـــب الآثـــام والريبـــا
تمت وفي ختمهـــا أوصـــيك فاســـتمعن ... لما أقول _ وقيت _ المقـــت والغضـــبا
فلتدع ربـــك يعتـــق وجـــه ناظمهـــا ... وأن يجنبـــــه الـــــنيران واللـــــهبا

نظمها

سلطان بن محمد بن سبهان الشمري

1417/7/26هـ

قال الشيخ بكر أبو زيد بعد قراءته للمنظومة : ((هذه المنظومة تميزت :

1/ أنها سلسة عذبة ولا إشكال فيها

2/ أنها أتت على المطلوب من الكتاب

وفقك الله ... بكر أبو زيد))

الافتتاحية
نبذة مختصرة عن حياة المؤلف الشيخ أبي زيد بكر بن عبدالله
المقدمة .....
الفصل الأول آداب الطَّالب في نَفْسِهِ.....
1- العِلْمُ عبادةٌ .....
2- كن على جادة السلف الصالح.....
3- مُلازَمَةُ خَشْيَةِ الله تعالى.....
4- دوام المراقبة.....
5- خَفْضُ الجَناح ونَبْذُ الخُيَلاء والكبرياء.....
6- القناعةُ والزَّهادةُ.....
7- التَّحَلِّي بِرَوْنَقِ العلم.....
8- تَحَلَّ بالمرُوءةِ.....
9- التمتُّع بخصال الرجولةِ.....
10- هَجْرُ التَّرَفُّهِ.....
11- الإعراضُ عن مَجالس اللَّغْو.....
12- الإعراضُ عن الهَيْشَاتِ.....
13- التَّحَلِّي بالرِّفْقِ.....
14- التأمُّلُ.....

15- الثباتُ وَالتَثَبُّتُ.....

ا لفصل الثاني: كَيْفِيَّةُ الطَّلَبِ والتَّلَقِّي.....

16- كيفيَّةُ الطَّلَبِ ومراتِبُهُ.....

17- تَلَقِّي العِلْمَ عن الأشياخِ.....

الفصل الثالث أَدَبُ الطَّالبِ مَعَ شَيْخِهِ .....

18- رعايةُ حُرْمَةِ الشَّيْخِ.....

19- رأسُ مالِك – أيها الطالبُ – من شيخِك.....

20- نَشَاطُ الشيخ في درسِهِ.....

21- الكتابةُ عن الشيخِ حالَ الدَّرْسِ والمذاكرةِ.....

22- التلقي عن المبتدع.....

الفصل الخامس آداب الطالب في حياته العلمية.....

23- احْذَرْ قرينَ السُّوء .....

24- كِبَرُ الهِمَّة في العلم .....

25- النَّهْمَةُ في الطَّلَب .....

26- الرحلة للطلب.....

27- حِفْظُ العلمِ كتابة.....

28- حِفْظُ الرِّعَايَةِ.....

29- تعاهُدُ المحفوظاتِ.....

30- التفقُّهُ بتخريجِ الفُروع على الأُصولِ.....
31- اللُّجوءُ إلى اللهِ تعالى في الطَّلَب والتَّحْصيلِ.....
32- الأمانةُ العلميةُ.....
33- الصِّدْقُ .....
34- جُنَّةُ طالبِ العلمِ.....
35- المُحافَظَةُ على رأسِ مالك (ساعاتِ عُمُرِك).....
36- إجْمامُ النَّفْس.....
37- قِراءةُ التَّصْحيحِ والضَّبْطِ.....
38- جَرْدُ المُطَوَّلات.....
39- حُسْنُ السُّؤَال .....
40- المَناظرةُ بلا مماراة .....
41- مُذاكَرَةُ العِلْمِ.....
42- طالبُ العلم يعيشُ بين الكِتَابِ والسُّنَّة وعلومِها.....
43- استكمالُ أدوات كل فن.....
الفصل السادس التَّحَلِّيَّ بالْعَمَل.....
44- منْ علاماتِ العلمِ النَّافعِ.....
45- زكاةُ العلمِ.....
46- عِزَّةُ العُلَماء .....
47- صيانة العلم .....
48- المُدارَاة لا المُداهَنة .....

49- الغَرامُ بالكُتُب .....
50- قِوَامُ مكتبتِك .....
51- التَّعامُلُ مع الكتابِ.....
52- وَمِنْهُ.....
53-إعجامُ الكتابةِ.....
الفصل السابع الْمحَاذيرُ.....
54- حِلْمُ الْيَقَظَةِ .....
55- احْذَرْ أَنْ تكونَ "أبا شبر .....
56- التَّصَدُّر قبلَ التأهُّلِ.....
57- التَّنمرُّ بالعِلْمِ.....
58- تَحْبيرُ الكَاغَدِ.....
59- مَوْقِفُك من وَهَم مَنْ سَبَقَكَ.....
60- دفْعُ الشُّبُهَاتِ.....
61- احْذَرِ اللَّحنَ.....
62- الإجهاضُ الفِكْري.....
63- الإسرائيليات الجديدة.....
64- احْذَر الْجَدَلَ البِيزَنْطِيِّ.....
65- لا طائفيةٌ ولا حِزْبيةٌ يُعْقَدُ الوَلاَءُ والبَرَاءُ عليها.....
66- نوا قِضُ هذه الحِلْيَةِ .....
حادية أولي الفهم في نظم (حلية طالب العلم).....

وكتب العبد الفقير إلى عفو ربه

أبوسليمان المختار بن العربي مؤمن الجزائري ثم الشنقيطي

الدوحة – قطر بتاريخ :15شوال 1426